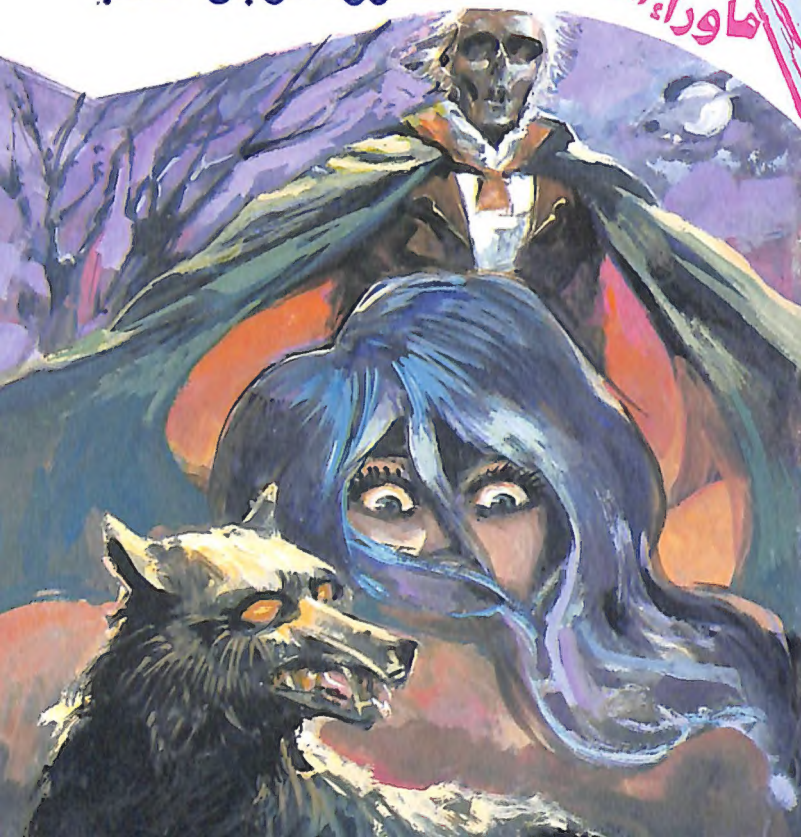


روايات مصرية للجيب

مصاص الدماء و

أسطورة الرجل الذئب



ماورا، الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة الرجل الذئب

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

تعالوا معي إلى غابات رومانيا الباردة
حيث أكواخ الخطابين ، تعالوا معي إلى
الليالي القمرية حين يكتمل البدر .. ، تعالوا معي
لتصغوا لصوت عواء الذئب الذي يجمد الدم في
العروق .. الذئب الذي كان رجلاً .. خذ الحذر ..
وتأمل في وجوه من حولك ، فأحدهم هو ..
وحين يكتمل البدر في المرة القادمة لربما تحول إلى مذعوب
أمام عينيك المذهولتين .. ، وحين يهاجمك المذعوب
حاول أن تتزع منه مخلباً .. ففي الصباح قد يتحول
هذا المخلب إلى إصبع بشري .. إصبع إنسان
تعرفه .. صديقك أو ... حبيبك !
تعالوا .. تعالوا إذا جرؤتم ... !

العدد القادم : أسطورة النداهة

الشن في مصر

بج

وما يعادله بالدولار
الأمريكي في سائر
الدول العربية
والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع لاس فيغاس - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

روايات مصرية للجيب
ماورا، الطبيعة
مصاص الدماء
أسطورة الرجل الذئب

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

مصنّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

مراجعة لغوية

الأستاذ/ محمد شفيق عطا

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

جميع الحقوق محفوظة للناسر
وكل اقتباس أو تقليد أو تزيف
أو إعادة طبع بالتزوير يعرض
المرتكب للمساءلة القانونية .

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع — المطابع ٨ ، ١٠ شارع ٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية — المكبات ١٠ — ١٦ شارع كامل صدق الفجالة — ٤ شارع الإسحاق بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة — القاهرة ٨٢٦٢٨٠ — ٩٠٨٤٥٥ — ٢٥٨٦١٩٧ فاكس — 202/2596650 ج.م.ع

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

الجزء الأول

مصاص الدماء

الجزء الثاني

أسطورة الرجل الذئب

بقلم

د. أحمد خالد توفيق

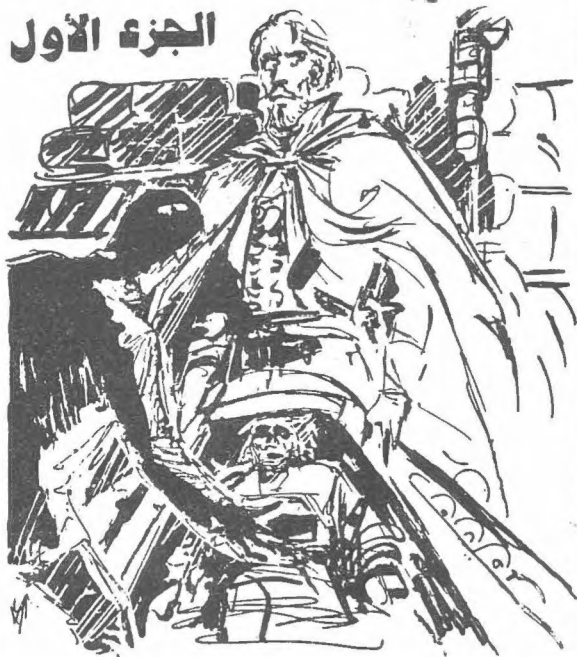
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع صلاح الدين بالقاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة

الجزء الأول



مصاص الدماء

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع لامله سلفه بالقاهرة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

مقدمة ..

أعتقد أن الوقت قد حان كي أمسك القلم وأكتب عن كل الخبرات والتفاصيل الغريبة التي مرت بي في حياتي الطويلة والتي لا أعتقد أن كثيرين قد مروا بها .

في البداية أعرفكم بنفسى : دكتور رفعت إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقاً بجامعة (....) وعدد لا بأس به من الجامعات في أوروبا وأمريكا ، السن يناهز السبعين ، عَزْب .. وكيف لمن عاش حياتي أن يتزوج ؟

لقد عشت حياة حافلة .. وهبت نفسى تماماً للبحث عن أسرار ما وراء الطبيعة .. عرفت كل شيء ، فتحت تابوت الكونت دراكيولا .. وقابلت المذعوبين في غابات رومانيا وبحثت عن وحش (لوخ نس) في اسكتلندا .. وقابلت رجل الثلوج المرعب في النبت .. ولبيت نداء النداهة في غيطان الذرة المظلمة .. واقتحمت قلعة الدكتور فكتور فرانكنشتاين في تراسلفانيا .. وعرفت الزومبى في جامايكا ..

كل هذا سأحكيه لكم بالتفصيل ، ولكن أولاً لنتفق على كل شيء ، ضعاف الأعصاب ومرهفو الحس يمتنعون عن

القراءة .. أما الشجعان فأنصحهم ألا يقرءوا هذه إلا فى
النهار ووسط أهلهم أو أصحابهم ، أما أنا الذى عشت كل
هذه الأحداث فقد تبخر الرعب وصارت مجرد ذكريات
باسمة عزيزة على نفسى ويخيل لى أننى لو فتحت الباب
فوجدت رجل الثلوج واقفا أمامى لأخذه بالأحضان
ودعوته على كوب من الشاي !
سأبدأ الآن حكاية ذكرياتى .. وستكون أولى قصصى هى
قصة لقائى مع ملك الظلام .. الكونت دراكيولا .



١ - ليلة رهيبة ..

كنت فى ذلك الوقت شاباً فى الخامسة والثلاثين من عمرى لا أعرف شيئاً عن عالم ما وراء الطبيعة وكنت أؤمن أن العلم قد عرف كل شيء .. كنت ساذجاً بالطبع .. سافرت إلى بريطانيا لحضور مؤتمر أمراض الدم الذى يحضره نخبة من أساتذة هذا العلم فى العالم كله ، لكن كما هو معروف - ليست المحاضرات مشوقة إلى هذا الحد ، وقد قضيت فى ذلك اليوم أربع ساعات من أسود ساعات حياتى أصفى لكلام كثير عن سرطان الدم . وأنيميا البحر المتوسط ... و ... و ...

كان الأطباء الجالسون قد أصيبوا بذلك النوع من الملل والتعاسة والتجمد الفكرى الذى أوتر أن أسميه (ذهول المؤتمرات) ، كانوا جميعاً قد فقدوا الإحساس بظهورهم وأطرافهم . وتحولت أرادفهم إلى جزء من المقاعد ، وبعضهم أخذ يزجى الوقت فى الحديث همساً وهم يضعون أيديهم على أفواههم كتلاميذ المدارس .. - شكراً ..

وللحظة لم يصدق هؤلاء البؤساء آذانهم لكن الرجل

كان قد انتهى بالفعل من محاضراته الطويلة ، من ثم
تعالّت تهنّدات العرفان بالجميل ، وبدأوا يصفقون له
شاكّرين !

كان المحاضر كهلاً وسيماً اسمه (ريتشارد كامنجز)
قابلته في مصر أكثر من مرة وانبهرت به بشدة ، كان
شامخاً مهيباً عصبياً مغرماً بالتاريخ والفن وكان يعشق
تاريخ الفراعنة وكانت هذه نقطة تلاقينا ..

بعد المحاضرة قابلته ، وعلى الفور هش وبش لى
وبدت السعادة على وجهه ، بل إنه صافحني (وهو شيء
غير معتاد من الإنجليز) ثم إنه سألني عن رأيي في
المحاضرة فكذبت عليه في كياسة قائلاً إنها رائعة ، دعاني
إلى بيته الريفى فى (يوركشاير) ؛ لأننى - كما قال -
إنسان متحضر وشديد الإخلاص للعلم ..

لهذا - وكما علمتني التقاليد الإنجليزية الصارمة -
وجدتني أجتاز مدخل حديقة البيت الإنجليزي الجميل فى
تمام الساعة مساء .. وكان القمر يرخى ضوءاً هادئاً
رقيقاً على غصون اللباب المتدلّية فوق سقف البيت
المنحدر ، وفى الحديقة كنت تشم روائح غير مألوفة
لزهور لا تعرف اسمها ..

وفى الداخل كان البيت أنيقاً بسيطاً ، بيت أسرة
كاثوليكية متدينة .. وفى قاعة الجلوس كانت هناك

مجموعة كبيرة من الصلبان الأثرية ، ولوحة كبيرة للعشاء الأخير ، وكانت زوجته فى منتصف العمر مهندبة رقيقة ، أما ابنته كاترين فكانت مراة لكنها أكثر تعقلا من سنها ..

وأدركت كم هم متدينون حين تلوا قبل العشاء صلاة المائدة ، من ثم شعرت بالخجل من نفسى لأنى نسيت البسملة على الطعام قبل أن أبدأ الأكل .. تمت أن بسم الله أوله وآخره ، وشرعت أملأ بطنى من الأصناف جميلة المنظر ، شنيعة الطعم ، التى عرف بها المطبخ الإنجليزى فى أوروبا كلها ..

بعد العشاء - وفى حجرة المعيشة المريحة - جلس د . ريتشارد جوار المدفأة يدخن غليونيه ويرشف القهوة فى استمتاع وقد بدا لكلينا أن الحياة لن تكون أبداً أروع مما هى عليه الآن ..

قال د . ريتشارد : كيف تشعر وأنت من سلالة الفراعنة هؤلاء العباقرة ؟

ابتسمت ولم أدر بماذا أرد ، فغمغت : .. بالندم وبالحرسة لأنى لم أحفظ حضارتهم وكل ما اكتشفوه .. أحيانا يخيلى لى أنه لم يعد هناك ما يمكن اكتشافه بعد كل ما اكتشف حتى اليوم ..

أعتقد أن زمن (الكشف) قد ولى وبدأ زمن
(التطوير) .

وهنا يبدأ دور رجل علم مثلى يؤمن بعلم ما وراء
الطبيعة ويؤمن أن كل أسطورة لها أصل ما لم يحاول
القدماء أن يتوقفوا عنده ، وهكذا نفتح أبواباً جديدة ..
وجال ببصره فى الحجرة الخالية .. ثم همس :

- خذ عندك أسطورة الكونت دراكيولا .. إن أحدا لم
يحاول أن يتأمل فيها .. ، كانوا يبحثون فى الكهرباء
والموجات الكهرومغناطيسية والانشطار النووى
والمضادات الحيوية فلم يتوقفوا عند هذه الأسطورة أبداً ،
هنا يأتى دور رجل علم مثلى يؤمن أن هذه الأسطورة لم
تأت من فراغ ويتوقف لحظة عندها ..

هناك شواهد تاريخية عديدة ومريبة .. الدم هذا السائل
الأحمر الغامض رمز الحياة والموت معاً .. خذ عندك
طقوس شرب الدماء فى الهند .. الموميאות ذات الأنياب
التي وجدوها فى الصين ، ومآدب أهل أسبرطة التي كانوا
يحتسون فيها الدم الممزوج بالخل والتوابل ، ودماء
السلحفاة البحرية التي يشربونها لعلاج الروماتيزم فى
جامايكا ..

وكتب السحر فى العصور الوسطى ، وكلها تتحدث عن
طرد مصاصى الدماء كقضية مسلم بها ..

وهنا نبدأ - بمرونة فكرية - نجزم أنه فى وقت ما ، فى مكان ما ، تواجدت مخلوقات كابوسية تعيش على الدماء مثل دراكيولا ..
- أوه !

كان هذا هو صوت كاترين .. وكانت قد دخلت الحجرة لتوها فسمعت آخر جملة ، وسرعان ما اعتذرت بأنها ترغب فى الصعود لحجرتها ..
قال د . ريتشارد :

- هكذا أفضل .. هناك أشياء لا يجب أن يقولها المرء أمام النساء .. أنت تفهميننى ..

واتجه نحو النور الكهربائى وأطفأه ، فساد الظلام الحجرة فيما عدا نور المدفأة الهادئ الخافت .. ، وقال بطريقة درامية مؤثرة .

- هكذا يكون الجو مناسباً لهذه الأحاديث الرهيبة !!
أحسست بالرجفة تسرى فى ظهري ، وكان منظر لهيب المدفأة يذكرنى بالمشوار الذى ينتظرنى بعد هذه الأمسية فى العودة لفندقى .. البرد والخوف ..

توقف د . ريتشارد أمام إحدى اللوحات المعلقة يتأملها على ضوء المدفأة المتراقص ، وهمس :

- لقد بحثت وبحثت سنوات طويلة مع أحد رفاقى من علماء التاريخ .. واليوم أستطيع أن أقول إننا برهنا بالدليل

المادى على وجود الكونت دراكيولا ..

دوت الكلمة الكابوسية فى الظلام فأجفلت لها فى
مقعدى ، والواقع أن د . ريتشارد كان مخرجاً مسرحياً
رائعاً ..

القصة كما يعرفها كل الناس هى قصة ذلك الكونت الذى
عاش فى ترانسلفانيا فى القرن الرابع عشر .. كان شريزاً
بكل ما فى الكلمة من معان ، ولكنه لم يكن من الموتى
الأحياء .. إلا أن كاتباً نشطاً أسماه (دراكيولا) أى
الشیطان ، وخلده « برام ستوكر » فى قصته الشهيرة
التي لم يزل الناس يرتجفون منها حتى اليوم .. ثم
السينما العالمية .. « فنسنت برايس .. لون شانى »
ليكملوا الصورة ..

اليوم أقول أنا : إن (دراكيولا) وجد فعلاً كما صورته
القصص دون أية مبالغة ..

★ ★ ★

٢ - خادم الكونت ..

قلت فى حماسة :

- « لكن كلينا رجل علم ، وكلينا يعرف أن مالا يرى ولا يُسمع ولا يُشم ولا يُعقل ، هو ببساطة غير موجود .. » . ابتسم د . ريتشارد فى ثقة .. ثم اتجه نحو خوان فى ركن الغرفة وفتح درجه وأخرج ظرفاً ممتلئاً ناوله لى، وقال :

- أقرأ هذه الأوراق قبل أن تتحدث عن العلم ..

قبل أن أرد دخلت علينا (مسز كامنجز) باشة الوجه .. وبانجليزية حاولت أن أجعلها راقية شكرتها على العشاء .. ثم بدأنا حديثاً عن الطقس .. ثم أطريت بيتهم وأبديت إعجابى بلوحة العشاء الأخير المعلقة .. فشرعت تشرح لى قصة اللوحة ونظرات الدهشة المرتسمة على وجوه الحواريين ... و ... و ...

- هل تعلم سر تشاؤم الغربيين من سقوط الملح على المائدة ؟

فهزرت رأسى معترفاً بجهلى .. قالت :

- لأن (يهودا) الخائن مرسوم فى اللوحة وقد انسكب الملح على المائدة أمامه ..

هل ترى وجهه ؟ هذا وجه ارتسمت عليه كل خطايا

البشر .. إنه خاضع للشيطان لكنه مستسلم لهذا ولا يجد
سبيلا آخر ..

كنت فى هذه اللحظة قد دخلت فى عالم اللوحة لكنى
كذلك كنت أفكر فى المسافة الطويلة التى تفصلنى عن
الفراش الدافئ وقراءة هذا المظروف الذى أحمله ..
وحين عدت للفندق تمددت فى الفراش وتأملت
المظروف الذى أعطانيه د . ريتشارد ، وكان مليئاً بأوراق
قديمة وصور فوتوغرافية ..

كانت إحدى الصور لقصر أثرى غريب ، وأخرى لتابوت
رخامى مغلق ، ثم صورة لشيء لم أفهم ما هو ، ثم صورة
للوحة زيتية تمثل رجلاً ملتجئاً طويل القامة .. أما قطعة
الورق الصفراء المهترئة فكان بها خريطة مرسومة بحبر
أسود لقصر مجهول به سراديب سميت بأسماء سلافية لم
أعرف حتى كيف أقرأها ..
الغاز كثيرة جداً ..

أخيراً ورقة بالإنجليزية - بخط د . ريتشارد - تقول :
« لقد بحثنا شهوياً فى سراديب قصر (الكونت
دراكيولا) فى ترانسلفانيا ، وهو الذى منعت السلطات
السياح من زيارته لأنه آيل للسقوط فى أكثر من
موضع .. ، وأخيراً وجدنا الخريطة المرفقة التى دلتنا
على توأبيت عائلة الكونت فى سرداب قديم مليء بالآتربة
وانوطاويط ...

وقد فتحنا التوابيت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت
وعلى صدرها وجدنا صندوقاً عاجياً فيه رسالة كتبها خادم
الكونت للأجيال القادمة :

- أكتب هذه الرسالة لمن يأتون بعدى كي أأذرهم من
خطر داهم شنيع ، لقد اختار الشيطان هذه المنطقة النعسة
مهداً له ..

إن (دراكيولا) هو أول مصاص دماء يولد فى هذا
البلد ، إن سيدى الكونت معروف بين الفلاحين بقسوته
وطغيانه واستخدامه جيشاً من المرتزقة لفرض سلطانه ،
كل هذا جعلهم يسمونه (الشيطانى) أو (دراكيولا) ..

بدأ الكونت فى كل مساء يشرب مزيجاً لعينا من دم
الخنازير والنبيذ والتوابل بدعوى أنه يعيد الشباب ، وبدأ
يدرس السحر الأسود .. ويزداد انعزالاً وغبابة ..

لقد بدأ وجهه يستطيل وصوته يأخذ نبرة عواء الذئب
فى الليالى المقمرة ، وصار يخرج فى المساء ويعود فى
الفجر وينزوى بالساعات فى بدروم القصر وحيداً .. بل إنه
لم يعد يأكل ..

وفى كتب السحر وجدت تفسير حالته .. إن هذا المزيج
الذى يشربه يقود إلى الخلود بأشنع الطرق .. إنه يحيل من



وقد فتحنا التوايت كلها حتى وجدنا مومياء الكونت وعلى صدرها
وجدنا صندوقاً عاجياً ..

يدمنه إلى خفاش بشرى يتقذى بدماء البشر ليلاً وينام فى
تابوت نهاراً ويموت إذا رأى ضوء الشمس ..
وكان لابد أن أعرف ..

صباح اليوم التالى استجمعت شجاعتي ونزلت بدروم
القصر حيث تواييت أسرته ، وكانت رائحة العطن تملأ
المكان ، والفئران تمرح فى حرية تامة ، وفى تابوت
رخامى وجدت ما كنت أبحث عنه (هذا الجزء غير واضح
فى المخطوط) لاتنفس .

ووجهه شاحب شحوب الموتى وعلى شفتيه قطرات
من دماء لم تجف بعد ، وعيناه مفتوحتان تحدقان فى
لاشئ ..

أقربت من شفتيه واستجمعت شجاعتي وفتحتها ..
فوجدت صفيين من الأسنان الدقيقة المديبة كأسنان
الضواري ، انتابنى ذلك الرعب المجهول الذى يشل العقل
تماماً .. جريت فى هلع وقد تسلطت على فكرة واحدة :
الهرب .. لأدرى لأين .. ونسيت أن أعيد غلق التابوت ..
إذن غدا الكونت مصاص دماء ، وصار عالة على نفسه
وعلى الآخرين ، إذن كان أهل القرية محقين حين كانوا
يرسمون الصليب حين يمرون بالقصر ، وإذن كان هذا هو

سرّ جثة المتسول العجوز التى وجدوها قرب القصر منقاة
على الكلا وفى عنقه ثقبان أحمران ..
لهذا نزع الكونت الستائر البيضاء والأيقونات ، ولهذا
كان ذلك العواء الذى يهز القصر فى الليالى القمرية ..
ولهذا .. ولهذا .

عدت لكتب السحر أقرؤها ، إن مصاص الدماء
كابوس .. ومن واجبى أن أجد أنا دواء لهذا الكابوس
خاصة أنه لم يمتص دمي بعد ربما لحاجته إلى .
إن قتل مصاصى الدماء أمر سهل ، فهو يموت من أى
رمز دينى .. إنه مخلوق رمزى ، وجوده رمز ومصرعه
يتم بالرموز ، الضوء واللون الأبيض والفضة والكتب
السماوية كلها تقتله ، لكن الطريقة الفعالة هى وتد من
الخشب يثق فى صدره ، ثم تلى صلاة الموتى عليه ،
وتحذر كتب السحر من أنه : كما أن مصاص الدماء رمز
فموته رمز ، إنه يعود للحياة مرة كل مائة سنة ليعيث فى
الأرض فسادا ، ثم إنه بعد أن ينشر الرعب والموت يقتل
على يد إنسان لم يتلوث ... و ...

وهنا أحسست بشيء غير عادى فى الحجرة .. رفعت
رأسى فوجدت الكونت (دراكولا) واقفا على رأسى يسد
الباب وهو يبتسم ابتسامة صفراء رهيبة ، لقد جاء الليل
دون أن أدرى وحين نهض وجد غطاء التابوت مكشوفاً
وأدرك أنتى فهمت !

ونظرت إليه فى هلع ..

لم يعد وجهه يمت بصلة للوجه الذى عرفته .. ناباة
الفضيعان .. بشرته الشاحبة المتجعدة .. رائحة الكبريت
التي تتحدث عنها كل كتب السحر ، تحرك أمام المرأة فلم
أجد له صورة ، حتى الشمعة لم تترك له ظلًا على
الحائط ..

صرخت : يا إلهى .. أنقذنى !

أجفل .. وتراجع لحظة .. فجريت للبواب كما لم أجر فى
حياتى إلى غرفتى .. أغلقت الباب بالمفتاح ، وعلى
الفراش أغمى على ، وكان آخر ما رأيته هو مقبض الباب
يتحرك ، لكن الباب كان مغلقًا ..

نعم .. صار الكونت هو خليفة الشيطان فى الأرض ،
إنه مريض وهو يعلم ذلك ، ولقد قررت أن أريحه ..

سأقتله اليوم ، كتب السحر قالت إنه سيموت على يدي
رجل لم يتلوث .. وأنا هو ذلك الرجل ، أنا القاضى والمدعى
والجلاد معًا ، سأنزل إليه بالخنجر الفضى والشوم وقبل كل
شء . بإيمانى ..

ولئن كنت ملوثًا ولقيت مصرعى فليعلم من يجد هذه
الرسالة ما علمته أنا ولينتظر عودة الكونت كلما مرت مئة
عام ، ولينتصر من هو منا على حق .

خادم الكونت / جيسيب ميخائيل

فى عام الثرب ١٥٥٩

بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقاً صغيراً
بخط د . ريتشارد يقول : إنهما وجدا مومياء الكونت
وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال القادمة ، وأن هذا يعنى
أن الخادم وفق فى مهمته ..
انتهت المذكرات ..

أغلقت مفتاح الأباجورة وأغلقت عيني لأريحهما فى
الظلام .. إذن فهذه الخزعات هى ما يشغل ذهن العالم
العظيم .. وكل هذا الكلام الأبله الذى يقولونه فى أفلام
العرب الرخيصة عن الهنود والأرسبرطيين ومومياءات
الصين ... هراء ...

ومضيت أسلى نفسى بمحاولة تخيل شكل الشر فى
العالم .. غول أحمر العينين .. أخطبوط له ستة أذرع .. لم
أستطع .. ولسبب لا أدريه لم تفارق ذهنى صورة وجه
يهودا فى لوحة دافنشى .. النظرة التعسة الآثمة .. نظرة
الخاطى الذى لا يملك سوى أن يخطئ ..
ولم أدر كيف ، ولا متى غرقت فى سبات عميق ..

★ ★ ★



بعد نهاية الرسالة وجدت تعليقاً صغيراً بخط د . (ريتشارد) يقول :
- إنهما وجدا مومياء الكونت وعلى صدرها هذا التحذير للأجيال
القادمة ..

٣ - المومياء ..

فى اليوم التالى وبعد انتهاء جدول أعمال المؤتمر لهذا اليوم ، قابلت د . ريتشارد فى كافترىا المؤسسة ، يرشف القهوة ويدخن .. حييته وقد بدا لى أن الليلة السابقة كانت مجرد شىء سخيف .. وبعيد جدًا ..

قالب د . ريتشارد الكريمة ، على سطح فنجانہ ، ثم سألنى :

- قرأت الأوراق ؟

- نعم

- وما رأيك ؟

صارحته برأى فى الموضوع كله ، فالتمعت عيناه غضبًا ووضع فنجانہ فى الطبق :

- خزعلات ؟! أنت تظن أننى وواحد من أعظم علماء التاريخ فى أوربا كنا ضحية خدعة قذرة لفقها لنا أحد الظرفاء .. حسن .. لقد كلف هذا الظريف نفسه ما لا يطيق وأعد كل هذه الأوراق ، وأعد المومياء وانتظر سنوات عديدة حتى يخطر لأبله مثلى أن يبحث فى هذا السرداب حتى يجد هذه الأشياء .. يا لها من دعاية !

- ليس هناك ما يثبت رأى لكن ليس هناك ما ينفيه .
هز رأسه فى ضيق ، ثم عاد لبروده الموروث وقال .

- أريد منك أن تأتي إلى هذه الليلة .. هناك شيء جديد
أريد أن تراه .. نفس الموعد ..

مرة أخرى على العشاء أجلس أمام نظرات يهودا
الآثمة ، على الناحية الأخرى من المائدة يجلس البرفسور
« ماكس لوفارسكى » وهو - كما عرفت أنت - يهودى لم
يكف لحظة عن الحديث عن ما عاناه فى معتقلات
النازيين ، لماذا خلق الله العلماء مملّين إلى هذا الحد ؟
بعد العشاء التفت إلى د . ريتشارد ، وقال :

- إن ما سأريه لك الآن هو خلاصة بحث سنوات من
عمرى أنا والأستاذ (لوفارسكى) ، لا أطلبك أن تقتنع ،
لكنى أطلبك - وهذا من حقى - بالاحترام لكل
ما ستراه، أضف لهذا أن ما ستراه هو سر سيظل طى
الكتمان ..

نطق العبارة الأخيرة بلهجة مرعبة تعمد الضغط على
كلمة (سيظل) فشعرت بالرهبة ، وقلت :
- أعدك بهذا ..

نهضت معهما إلى القبو - قبو البيت الإنجليزي الأنيق
حيث رائحة الخمر المعتق والعطن ورائحة شيء ما لم
أستطع أن أحبها .. أزاح د . ريتشارد الخيش عن
صندوق مغلق فى أحد الأركان .. وفتحه ثم هتف بلهجة
مسرحة :

- أيها السادة .. ها هى ذى مومياء الكونوت
دراكويولا !..

من العدل أن أقول إننى لم أشعر برهبة ولا فضول
ولا شيء على الإطلاق .. بل ظلت محتفظاً بتعبير رجل
العلم الذى لا (يندمى) من شيء ولكن (يهتم) به .
كانت مومياء عادية لها كل مزايا وعيوب أية مومياء
أخرى .. جلد متآكل .. خصلات شعر متناثرة .. أنف
مجدوع .. شيء واحد كان مختلفاً .. الأسنان .. ، لماذا
كانت فى فك هذا الشيء تلك الأنياب الحادة الشبيهة بأنياب
الذئاب ..؟

ابتسم د . (كامنجز) فى تشف .. وهمس :

- ما رأيك ..؟

لم أرد بل سألت (لوفارسكى) :

- كيف استطعتم إحضاره هنا ؟

- لقد نجحنا فى تهريبه بوسائل معقدة على أنه شحنة

أدوات حفر ، والسلطات فى ترانسلفانيا لا تعرف حتى
بوجوده هنا .. لهذا لم تبحث عنه أصلاً ..

أشعل د . (ريتشارد كامنجز) عود كبريت وقربه من
المومياء .. فجأة انطفأ .. فهتف :

- « هل ترى ؟ ثمة غاز خامل يتصاعد من هذه

المومياء .. » لم أستطع أن ابتلع كل هذا .. لكنه واقع ..
أمامى الآن الدليل الحى على خطأ الافتراضات العلمية
وعلى وجود السحر ، وعلى قابلية كل الأساطير للتصديق
وعلى ...

سألت د . (ريتشارد) :

- لكن لماذا تضيعون كل هذا الوقت والمجهود ؟

- الحقيقة ..

قالها د . (ريتشارد) فى بساطة .. واستطرد :

- الحقيقة التى ستهب العلم مرونة لا تقاس ، تكفى

لاستيعاب الأساطير وكل معتقدات الشعوب البدائية وتحدث
انقلابا لم يشهد له العالم مثيلا ..

إننا نقف الآن أمام الدليل الحى على وجود السحر ..
صعدنا لحجرة المعيشة بعد دقائق ، وجلسنا فى صمت
حول مجموعة من المستندات القديمة ..

قلت فى حيرة :

- لم أفهم بعد .. ما السر فى إطلاعى أنا بالذات على
هذا ؟

- أنت مسلم يا د . (رفعت) ..

- نعم ..

- وأنا كاثوليكي و د . (لوفارسكى) يهودى ، وهذا

سيجعل شهود المعجزة هم نماذج لثلاثة أديان ..

- أية معجزة ؟

- عودة دراكيولا ..

★ ★ ★

٤ - طقوس ..

مذ د . (ريتشارد) يده إلى الأوراق وفتح إحداها
وشرع يقرأ :

- تقول المستندات إن مصاص الدماء يعود للعالم كل
مائة عام لنشر الفساد والشر ، ثم يموت على يد شخص لم
يتلوث ..

وهنا قال د . (لوفارسكى) عابثاً بلحيته :

- إن لدينا شواهد تاريخية على ظهور مخلوقات لها
صفات مصاص الدماء والعثور على جثث رقبته مثقوبة
فى الأعوام ١٧٥٩ و ١٨٥٩ ، وبشكل أكثر تحديداً فى
الليالى المقمرة التى يتوازى فيها المشتري مع المريخ ،
ويمكن القول إنه كان يقتل فى كل مرة .. ويعود لصورة
المومياء التى نراها .

- وهل كان يعود من تلقاء نفسه ؟

قال د . (لوفارسكى) :

- كلا .. بل بمعونة بعض الأوغاد الذين يؤدون بعض
الطقوس اللازمة للبعث .

وهنا بدأت أفهم .. كنا فى العام ١٩٥٩ .. أى
أن هذا هو العام المنتظر السعيد .

وفتح د . (ماكس لوفارسكى) ورقة صفراء وشرع
يقرأ :



إنه كان يقتل في كل مرة .. ويعود لصورة المومياء التي نراها .

- أول الطقوس هو أن يؤديها أشخاص بلغ منهم الشر
كل مبلغ ... أى نحن !..

قال د . (ريتشارد) :

- إننا عبيد الفضول العلمى ، وكلنا على استعداد لعمل
أى شئ من أجل الحقيقة ... إن العلم هو ما نحيا من
أجله ..

- ثانى الطقوس هو شرط القرن . أى أن تكون مائة
عام قد مرت على مصرع الكونت ..

- ثالث الطقوس هو شرط القمر . أى أن يكتمل البدر
ويتوازى المشتري مع المريخ ..

- الشرط الثانى أو الثالث سيتحققان بعد أسبوع . ليلة
الأربعاء ..

- الشرط الرابع هو شرط الوطواط .. يجب أن يوضع
على صدر الجثة مومياء وطواط وهذا ليس صعبا .

- الشرط الخامس هو شرط الدم .. بحيث أن يوضع دلو
من الدم بجوار المومياء .

- دم بشرى ؟

- لم يحدد النص ذلك .. -

- وهنا لاحظت شيئا .. التمتعت عيناى فى فخر كائننى طفل

فاز فى لعبة المساقة ، وصحت :

- لحظة من فضلك .. التاريخ يحكى أنه - فى كل مائة

عام - كان بعض الأوغاد يجدون التابوت ويمارسون نفس

الطقوس، فكيف تأتى أن التابوت لم يزل فى نفس المكان، والرسالة لم تزل حيث يتركها الخادم منذ خمسة قرون ؟

احمر وجه د . (ريتشارد) فترة ، ثم همس فى استسلام :

- لقد فانتى التفكير فى هذا بالفعل ..

قال د . (لوفارسكى) :

- لربما فكر من يقتل الكونت فى كل مرة أن يترك الرسالة فى موضعها للأجيال القادمة ؟

- ولماذا يحرص من يقتل الكونت على إعادة جثته للتابوت فى كل مرة ؟ لماذا لا يدفنها فى أى مكان ؟ لماذا لا يمزقها أو يحرقها ؟ لم أعرف أن قتلة مصاصى الدماء منظمون إلى هذا الحد ؟

ساد الصمت للحظات وأدركت - فى فخر - أن الرجلين يكرهانى فى جنون ، لكن هذا هو العلم ، وهما يعرفان هذا خيرا منى ..

قال د . (ريتشارد) بعد تفكير :

- حسن يا د . (رفعت) . إننا مصممون على التجربة ، والتي لم يبق لها سوى أسبوع ، فإذا لم تقبل فعلى الأقل قل ذلك الآن حتى يتسنى لى أن أجد عالما أثق به من الجالية المسلمة فى إنجلترا .. الوقت ضيق كما ترى ..

من أنا حتى أرفض أمرا كهذا ؟ ستكون ليلة الأربعاء

ليلة مثيرة بكل المقاييس ... ، هكذا قلت لنفسى .. كنت
ساذجًا كما قلت لك ...

- إذن فلنبداً .. الوقت ضيق كما قلت أنت ...
لم يكن هناك أى شيء يقنع العالمين سوى التجربة فى
ذاتها ، وكنت واثقًا من نفسى أننى بدأت أعد عبارات العزاء
التي سأقولها لهما حين تشرق شمس يوم الخميس
والمومياء لم تزل كما هى - مومياء - يالها من لحظة !
لحظة يعرف كل منهما أنه أضاع عمره يطارد وهما ..
يا للحسرة .. !

كان الأمر واضحًا فى ذهني تمامًا .. هذه مومياء قام
أحدهم بنشر أسنانها لتبدو كالأنياب وستظل كذلك ، لا أرى
الموضوع على أى ضوء آخر .

فى الصباح جاء (جوناثان) صبى البقال بلفة صغيرة
اتضح أنها خفاش ميت اصطاده من الكنيسة المهجورة
المجاورة ، وأخذ جنيهين كاد يطير بهما فرحًا ..
وجلسنا أنا ود . (ريتشارد) نحط الخفاش فى الحديقة
مستعملين الفورمالين .

- لنفرض أننا لم نستطع السيطرة على دراكيولا حين
ينهض . فماذا نفعل ؟

قال د . (لوفارسكى) :

- إذا نهض ، لقد كان مفزعًا فى العصور الغابرة ..
عصور الشمعدانات والعربات التي تجرها الخيول

والكونتيسات ... الخ ، لكنه اليوم سيعود فى عصر
انشطار الذرة والكهرباء . لن يكون سوى مجرد حيوان
تجارب طريف ..

قال د . (ريتشارد) :

- سنقوم بنقله إلى معمل مظلم فى جلاسجو ونقيده
هناك ، ثم ندرس كل شيء ... تركيب دمه ... أنسجته ...
ضغط دمه ... درجة حرارته ، وإذا مات سنشرحه .. لربما
أتى اليوم الذى نعقد له فيه مؤتمرًا صحفيًا أو ننشر مذكراته
فى كتاب اسمه (عشت فى تابوت) يحطم مبيعات السوق !
قلت :

- إن هذا المسخ محظوظ جدًا ... لكن أتمنى لو عدت
للحياة بعد مائة عام لأرى حال السياسة والعلم والمجتمع
والناس وقتها ..

فاحت فى المكان رائحة لاتطاق لأحشاء الخفاش
اللعيثة ، واستمررنا فى عملنا على مضض .

- اللعنة ..؟ فهمت الآن لماذا لا يبعث مصاص دماء إلا
كل مائة عام ..

ثلاثة علماء يعملون فى صبر من أجل إثبات وهم ...



٥ - شىء ما ..

جلست فى حجرتى المريحة التى أعطانيتها
د . (ريتشارد) فى بيته الريفى الجميل .. كنت قد غادرت
الفندق من ثلاثة أيام ، لكنى تركت هنالك أمتعتى لسبب ما ،
لم أدر ما هو ..

شعور غامض فى أعماقى جعلنى أترك جزءا من ذاتى
خارج جدران هذا البيت .

أشعلت سيجارة وشرعت أفكر .. ما الذى جعلنى أقحم
نفسى فى هذه القصة ؟ .. إنه ذلك الولع المجنون
بالمجهول .. تلك اللذة الحريفة الكامنة فى قصص جدتى
عن الغولة والنداهة ، وكنت أتساءل : كيف تبدو هذه
المخلوقات ؟ ! .. ولماذا !

اختار الفلوكلور الشعبى لها صورة الأنثى .
ثم كبرت وبدأت أذهب للسينما .. وشاهدت (لون
شانى) - ذا الألف وجه - (وفنسنت برايس) يلعبان دور
الكونت الغامض شارب الدماء .

لكم فتنتنى شخصية (دراكيولا) .. ولكم حيرتنى ..
ولكم أفرغتنى !

واليوم .. هأنذا قاب قوسين من حقيقة هذا الكابوس ،
بل إن - صدق أولا تصدق - مومياء هذا الكونت ترقد فى

بدروم البيت الذى أنا فيه الآن ! .. بل إن موعد استيقاظها هو بعد ثلاثة أيام لا أكثر ! ماذا سيقول أصدقاء طفولتى فى (المنصورة) لو عرفوا ما أنا فيه الآن ؟

الآن كل شئ معد .. دلو دم الخنزير .. الخفاش المحنط .. ورفقة اثنين من العلماء حادى المزاج لا يهمهما سوى العلم أيا كانت نتائجه الوبيلة .

أضأت الأباجورة فوجدت جوار السرير مجموعة كتب ، وعلى السطح كانت رواية (برام ستوكر) الشهيرة (دراكيولا) ، لابد أن د . (ريتشارد) تعدد وضعها جوار سريرى لجعلنى أعيش فى (الجو) ..

أطلقت سبّة فى سرى ثم فتحت الرواية وبدأت أحداثها تجرفنى .. يا للخيال المروع العبقري المريض .. ! لكم أحسد مؤلفها .

كنت قد وصلت للجزء الذى يدخل فيه الكونت على ضيفه الغافل موثق العقود (جوناثان هاركر) وهو يحلق ذقنه .. وهنا يفكر الموثق : كيف لم أر هذا الرجل فى مرآة الحلاقة ؟ .. وتتصلب عينا الكونت على جرح فى عنق موثق العقود نجم عن الحلاقة ... و ...

كنت قد وصلت لهذا الجزء حين دق الباب فأجفت .. ثم عدت لعالم الواقع ، فنهضت للباب وفتحته ، كان القادم هو د . (ريتشارد) ..



وهنا يفكر الموثق : كيف لم أر هذا الرجل في مرآة الحلاقة ؟ ..

- هل نمت ؟
- من الواضح أنني لم أفعل ..
- نظر إلى الرواية على الفراش .. وضحك :
- إذن أنت تستعد لضيقتنا ؟
- ضيقتنا ؟ .. قلت فى حلق :
- تبأ لها من راوية !
- وماذا تعلمت منها ؟
- تعلمت ألا أخلق ذقنى أمام (دراكيولا) لنلا أجرح
نفسى ، وعندئذ ..
- وماذا أيضاً ؟
- تعلمت ألا أثق بالأشخاص الذين لا تنعكس صورتهم
فى المرأة ! ..
- انفجر د . (ريتشارد) يضحك .. ! كان يرتدى الروب
وتحتة قميص وربطة عنق ، وقد بدا غاية فى الأناقة
والوسامة ، ثم أنه أشعل سيجارة - ولم يقدم لى واحدة
كعادته - وجال بنظره فى أرجاء الغرفة .
- لماذا لاتضع بعض الآيات القرآنية هنا وهناك ؟
- أشرت إلى الكومودينو بجوار الفراش ، إلى المصحف
الصغير الذى أعطتنى إياه المرحومة أمى قبل أول سفر لى
بالخارج .

- ما هو ذا .. لكن بغرض القراءة وليس لحماية من
مصاص دمانك ..

هز رأسه مؤيذا .. ونهض فى تتأقل متجها إلى الباب
مأرا أمام المرأة المزخرفة المعلقة ... لا ! .. لا بد أننى
متوتر الأعصاب .. هل المرأة غير مصقولة أم أن الإضاء
غير كافية ؟ أم أن هذا الرجل لا يعكس ظلًا فى المرأة
بالفعل ؟ !

التفت لى فى اهتمام وسأل :

- ما سر هذا الهلع على وجهك ؟ !

هل أصارحه ؟ .. كلا .. كلا .

- لاشيء .. إنه مفعول روايتك لا أكثر .

فكر قليلا ثم قال :

- . (رفعت ..) هناك شيء هام ..

- ما هو ؟

- شيء أريد عمله ولا أريد للدكتور (لوفارسكى) أن

يعلم به ، هل تعنى ؟

- أعدك ..

- إذن اتبعنى إلى البديوم بعد عشر دقائق ..

وألقي سيجارته وانصرف فى تؤده .

بمجرد أن خرج أغلقت الباب وهرعت للمرأة .. إن

صورتى واضحة فيها ، ولكن .. ما أكثر الأعيب

الضوء ! . رب زاوية انكسار كاملة تحيل الماء إلى مرآة ،
فلماذا لا تتحول المرآة - فى زاوية ما وإضاءة ما - إلى
سطح غير عاكس ؟ ..

وحتى إذا لم تعكس المرآة صورته ؟ .. ما معنى
ذلك ؟ .. أنا لا أومن بالأشباح .. وحتى إذا طبقنا منطق
الخرافة نفسها فلا توجد أى ضرورة لهذه الزيارة ، ولم
يستتبعها شيء ..

لماذا يريد د . (كامنجز) لقائى فى البديوم ؟ .. طبعا
ليس للعب الورق ولا لمشاهدة مجموعة طوابعه ..
وبالطبع ليس لامتنصاص دمي ، لأنى لا أومن بكل هذا
الكلام الفارغ ..

ما الذى يريده من مومياء (دراكيولا) ؟ .. ما الشيء
الذى لا يريد أن يعرفه د . (لوفارسكى) ؟ !

على كل حال مضت العشر دقائق ..

ارتدبت الروب وخرجت من باب الغرفة قاصدا
البديوم .. ظلام الردهة وبقايا العشاء على المائدة لم
ترفعها مسز (كامنجز) بعد .

باب غرفة د . (ريتشارد) يفتح فى ببطء ..
- د . (رفعت) ؟

- نعم ..

لاحظت أنه يتكلم بصوت عال .. فخفضت صوتى فى
همس كالفحيح :

- والآن هيا ..

- هيا ماذا ؟

- البدر ..

- البدر .. هل أنت بكامل قواك العقلية ؟ !

ماذا يحدث ؟ .. عم يتحدث هذا المخبول ؟ .. لكن
وجهه كان جادًا صارمًا لا أثر للدهابة فيه .. كلماتى
اصطدمت بحاجز صلب بارد فسقطت مهشمة عند قدمى .
- ألم تطلب ذلك منى ؟

- دقيقة واحدة .. طلبت منك ماذا ؟

- النزول للبدر .. !

- متى ؟

- منذ عشرة دقائق فى حجرتى ! ..

أعتقد أنه لابد من اختصار هذه المحادثة التى لابد أن
أدركت فحواها ، هو يعرف ويؤكد ويقسم أنه لم يأت
لحجرتى أبدًا ، وأنا واثق تمامًا أنه كان عندى لسبب يعلمه
الله وحده ، محادثة مملة كحوار الطرشان نتیجتها أن كلاً
منا اعتقد أن الآخر كاذب أو معتوه ..

- هل تعرف يا د . (رفعت) ؟

- قالها فى غموض وهو يضيق حدقتى عينيه مستطرذا :
- يبدو أن علينا على حق !
- كيف ؟ ..
- الأمر واضح .. هناك من حاول استدراجك للبديروم .. لهذا زارك فى صورتى .
- هل سنعود لهذا الهراء ؟ ..
- قل لى .. ألم تلاحظ شيئاً غير عادى فى هذا الزائر ؟ ..
- فكرت لحظة ثم قلت بلا مبالاة :
- لا شئ سوى أنه .. لم يكن يترك انعكاساً فى المرآة !



٦ - مزيد من الألفاز ..

هل لك فى شريحة جامبون ياد.. (رفعت) ؟
سألتنى مسز (كامنجز) فى رقة ونحن جلوس حول
مائدة الافطار ، هزرت رأسى أن لا.. فصبت المزيد من
القهوة فى فنجانى قائلة إننى أبدو منهكًا ..

- كانت ليلة شنيعة سيدتى ، زارنى أحدهم ، و ..
وهنا أخرستنى نظرة شذراء من عين د. (ريتشارد)
كى لأسترسل فى كلامى ، غريب هذا!.. فى شمس
الصباح كان ما حدث أمس يبدو ضبابيًا وسخيفًا ..
إن ما حدث ليلاً هو دعابة لأكثر ، أو هو على أقصى
افتراض هلوسة شاذة نتيجة لقراءة لقصّة (برام
ستوكر) الشنيعة .

بعد الإفطار دخلنا مكتب د. (ريتشارد) والتفطنا حول
صاحب الدار الذى أشعل سيجارة .. وقال مبتسمًا :
- أمس تلقى د. رفعت زيارة لطيفة ..

وحكى قصة الأمس لد. (لوفارسكى) الذى أخذ
يصغى وهو يرمقنى بعينين حادتين كالصقر .. فما أن
انتهت القصّة حتى ساد الصمت ، بعد دقائق قال
د. (لوفارسكى) بصوت رتيب كالقضاة :

- أعتقد أن كل شيء يتوقف على د . (رفعت) ..
 سألته في دهشة :
 - ماذا تعنى ؟
 قال فى ثقة ؟
 - لا غبار على قصة د . (ريتشارد) .. لكن قصتك
 تحتمل المناقشة !
 غلى الدم فى عروقى :
 - هل تعنى أننى كاذب ؟
 - لا يا صديقى .. بل أعنى أنك واهم ..
 هزرت رأسى .. الواقع أننى - أنا نفسى - لم أعد واثقاً
 من شيء .. كل ما رأيت كان ملموساً ومادياً إلى حد
 مرعب .. لكنى لم أهلوس من قبل ، لربما كانت كل
 الهلاوس مقنعة هكذا ..
 ثم .. تذكرت شيئاً .. يالى من أحقق ! ..
 - تعاليا معى إلى غرفتى ..
 وفى غرفتى كان الفراش بحالته ، لأننى لأرتب
 سريرى أبداً عند الاستيقاظ .
 - تريان الآن ما أعنيه ..
 وأشرت إلى رواية (برام ستوكر) المفتوحة ..
 والمصحف الصغير على الكومودينو .. موضوعات حديثى
 مع زائر الليل ..

قال د . (ريتشارد) :

- هذا لايعنى شيئا .. من الطبيعى أنك أقحمت فى
هلوستك بعض الموجودات الحقيقية فى غرفتك .
- وهذا ؟

نظرا إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة
عقلى .. هناك على مشمع الأرضية كان عقب سيجارة
محترق ، سيجارة من النوع الذى يدخنه د . (ريتشارد)
ولايدخنه أحد غيره ..

قال د . (لوفارسكى) :

- شيء بسيط أيهما الشاب ! .. لقد قدم لك
د . (ريتشارد) إحدى سجائره ..
- إنه لم يقدم لى سيجارة فى حياته ! ..
- اسمع يا صديقى .. إن الحياة مليئة بالتعقيدات
ولا تحتمل أكثر .. لماذا تملأ الدنيا صراخا على ..
على عقب سيجارة ؟

صرخت فى غيظ .

- أنا أقول إننى واثق أن شخصا - أو شيئا - اقتحم
حجرتى ليلاً ودعانى للنزول للبدر ، وهذا العقب هو
الدليل على صدق كلامى ..

ثم نظرت لـ د . (ريتشارد) ، متوسلا :



نظر إلى ما أشير إليه .. الدليل الدامغ على سلامة عقلي .. هناك على مشمع
الأرضية كان عقب سيجارة محترق ..

- د . (ريتشارد) .. لماذا لا تقول إنك كنت تمزح
وتريحنا من هذه السفسطة ؟

- تحشم أيها الشاب ! .. أنا لا أكذب ..

- لكن التفسير العلمى الوحيد هو أنك تكذب .

- أنا لا أسمع .. وأطالبك بأن تكون أكثر لياقة مع رجل
فى سن أبىك ..

واشتعلت الكلمات . وأظن أننى كنت على وشك ضربه
أو هو على وشك طردى ، لولا أن تدخل د . (لوفارسكى)
بجسده البدين بيننا مهدداً النفوس :

- يا سادة .. أرجوكم ! .. لقد نسينا شيئاً .

توقفنا عن المناقشة ، كى نعرف ما سيقوله هذا
اليهودى :

- ما الذى كان على د . (رفعت) أن يفعله فى
البدروم ؟

- لا أدرى ..

- ولا أنا ..

- إذن ننزل البدروم ونلقى نظرة .

ونزلنا للبدر روم .. التابوت الكئيب الممل ورائحة
العطن .. لا يوجد شيء جديد أو يستحق الانتباه ، لا شيء
يدل على شيء ..

يا لغرابة ما نحن بصدهه .!

لقد بقى يومان على الموعد المشهود وما زال كل منا
عند رأيه ، لكن علامات الاستفهام تتكاثر حول كل شيء .
من سيضحك ضحكة الانتصار ليلة الأربعاء؟

★ ★ ★

٧ - زائر الليل ..

فى منتصف الليل صحت على صوت زجاج يتهشم ..
استغرقت دقيقة كى أفهم أين أنا ، ومن أنا ، وماذا أفعل
فى الفراش .. ثم عشر ثوان أخرى أثب من الفراش حافياً
- وبالبجامة - إلى باب الغرفة .. ثم إلى الطابق الثانى
حيث سمعت الصوت .

هذه غرفة مكتب د . (ريتشارد) ، لا أحد هنالك لكن
الستارة كانت تتموج فى صمت فى هواء الحجرة المظلمة
مما دلنا أن اللوح المكسور هو هنا ..

أشعلت النور فلمحت شظايا زجاج على الأرض ..
وبالطبع - كما هى العادة معى - دست على شظيتين بقدمى
الحافية فأطلقت سبة .. وجلست على الأرض كى
أخرجها .

ثم .. لمحت عيناى ...

هناك - خلف المكتب - كان شخص مختبئاً كى
لا أراه .. الشخص الذى اقتحم النافذة الزجاجية بهذا
العنف من أجل شىء لا أعرفه .. ولو جريت من الغرفة فقد
يهاجمنى ؛ لذا تشاغللت بمعالجة قدمى وأنا أسب بصوت
مسموع ، الدم يصفر فى أذنى والأدرينالين يرتفع فى دمى

وقبضتى تتوتر ، ثم فى لحظة واحدة وثبت فوق المكتب
وألقيت نفسى على هذا المتلصص ..

تلقيت لكمة فى بطنى جعلت الهواء يخرج من فمى ..
إلا أنى تحاملت ورفعت ركبتى لأركله أسفل بطنه ..
سمعته يئن .. ولكن من هو ؟

كان ملثمًا .. ولم أرسوى عينين باردتين كشتاء
لندن ، رماديتين كضبابها ، وجهت لكمة قوية إلى أنفه
خلف القناع حتى أننى شعرت بغضروف أنفه يكاد
يتهشم .. ثم لكمة فى صدره .

لم أكن رياضياً فى حياتى ، ولم يكن الكاراتى والجيدو
والتايكوندو معروفين لجيلنا ، إلا أن كل إنسان يمكنه أن
يقاوم بشراسة ، طالما وجد هدفاً قوياً .. وهل يوجد هدف
أقوى من أن أمنع هذا المتعصب من قتلى ؟

والتحمتنا فى عراك طويل .. كان الوغد قوياً وشرسنا
لكنى كنت حانقاً وخانقاً مما جعلنى خصماً مساوياً له
تقريباً .. وفجأة امتدت يده إلى شئ ما على المكتب ،
وانهالت فوق رأسى ضربة من جسم معدنى ثقيل .. كلا..!
لن أفقد وعيى ..! تحاملت .. لكن الأرض هى التى
خذلتنى !..

لا بد أن فترة فقدانى الوعى لم تزد على خمس دقائق ..

وعلى الأرض كانت أداة لتثقيب الورق ملقاة بجانبى هى
التي حسمت المعركة السابقة ..

كان الغثيان يقتلنى لكنى نهضت .. جريت مترنخا للباب
المفتوح ، ونزلت السلالم جريا إلى المكان الذى كنت
أعرف أنى سأجده فيه ، البدروم ..

نعم .. كان هناك فى الظلام بجوار تابوت الكونت
(دراكويلا) وقد أضاء الكشاف الكهربى ووضعه بجواره
على الأرض ، وكان قد قرب وجهه من الكونت ، وهو
يهمس بكلمات مالم أتبينها .. كأنها صلاة وثنية غامضة أو
شئ من هذا القبيل ..

أه !.. ألن ينتهى هذا الجنون ؟

صرخت صرخة أفزعتنى أنا نفسى .. ورفعت زجاجة
ملقاة على الأرض ولوحت بها فى الهواء كالهراوة ثم
انقضضت على هذا المدعى .. ولولا أنه أجفل لهشمت
الزجاجة جمجمته فى ثوان .. وثب كالمسوع إلى الكشاف
الكهربى فاطفأه .. ثم انهالت على لكلماته فى الظلام ، إن
هذا الوغد يرى فى الظلام كالوطاويط ..

وفى هذه المرة لم أقاوم كثيرا .

ظللت فترة ألهث فى الظلام ومذاق الدماء المالح يملأ
فمى .. أعتقد أننى فى حاجة لاستعادة لياقتى فى المرة
القادمة .

نور البدروم يضاء .. د . (ريتشارد) و (لوفارسكى)



وكان قد قرب وجهه من الكونت وهو يهمس بكلمات ما لم أتيناها ..

بثياب النوم وعيونهم منتفخة من أثر النعاس يحيطون
بى .. صحت فى سخرية مرة :
- أهنتكم على نقاء ضمائرکم ..! إن الضجة التى
أحدثناها كانت كفيلة بإيقاظ الموتى ، وأنتم لم تصحوا إلا
الآن ..!

وشرعت أحكى ماحدث ، وماأن سمع د . (ريتشارد)
قصتى حتى امتنع وجهه ووثب كالقط إلى غرفة المكتب ،
وهنا جال خاطر مرعب فى ذهنى .. ماذا لو عاد - كعادته -
من أعلى ليقول إنه لا يوجد لوح زجاج مكسور وأنى كنت
أهلوس ؟

إلا أنه عاد بعد دقائق وقد بدا عليه الاهتمام وهو يحمل
معه أداة لتثقيب الأوراق تلك التى كادت تهشم رأسى منذ
دقائق .. وقال :

- إنك كنت محظوظا يا صديقى ..
أشرت إلى الزجاجاة المكسورة الملقاة على الأرض
وقلت :

- والوعد كذلك محظوظ مثلى ..
- د . (رفعت) إننا أناس متحضرون ، وأرى أن
ماحدث لا ينبغى أن يمنعنا من ارتداء ثياب لائقة حتى
نناقش الأمور فى مظهر متمدين :
- سنلتقى فى غرفة مكتبى بعد عشر دقائق !

آه من هؤلاء الإنجليز ! .. يريد منى حين أجد لصاً فى دارى أن أنهض من الفراش وأمشط شعرى وأرتدى ثياب السهرة ثم أذهب إليه وأنحنى كجنتلمان قائلاً :

- سيدى .. إذا لم تغادر دارى خلال دقيقة أعتقد أننى سأصل بصددكم إلى قرارات خطيرة !

آه .. تباً ! . المهم أننى عدت لحجرتى وارتديت ثيابى ، وتأملت وجهى فى المرآة .. لم تكن هناك عاهات مستديمة والحمد لله ، ولكن ماذا سيكون تفسير هذين السيدين لمغامرتى القصيرة الفاشلة ؟

وفى غرفة المكتب حيث الستارة لم تتطاير .. سألت الرجلين :

- والآن .. ما قولكما ؟

قال د . (لوفارسكى) متحاشياً النظر فى عينى :

- إذا أردت رأىى لقلت إن هناك أحداثاً غامضة لا يجمع بينها سوى شىء واحد .. فى كل مرة إما أن نقابلك متجهاً للبدرود أو نائماً فيه ..

قال د . (ريتشارد) :

- اننى أتساءل عن قصتك القادمة التى ستبرر بها نزولك للبدرود نيلاً ! .. صحت فى غيظ وقد بدا لى الرجلان شديداً السماحة وانجهن .

- وهل تظنان أنني أحب هذا البدروم العطن وتلك المومياء السخيفة ؟ .. هل أنا أكذب لأبرر عشقى الشديد للجلوس جوار التوابيت فى الظلام ؟

لم يستطع د . (ريتشارد) أن يمنع ابتسامة على شفتيه إثر كلامى .. ورفع يده محاولاً تهدئتى :
- أنا لم أتهم .. ولم أقل هذا .. ولكنى قلت إن هناك محاولة ما لجعلك تنزل البدروم وحدك ليلاً .

- إن هذا لم يدر بخلقى قط ، لكنه صحيح ..
- ولنفرض هذا .. فما المفروض أن يحدث هناك ؟
- هذا ما اجتمعنا للتفكر فيه ..

- ولكن لماذا لا يكون زائر الليلة لصاً .. لصاً عادياً ..
نظر لى د . (لوفارسكى) نظرة ذات معنى .. وقال :
- اللصوص لا يجثمون جوار التوابيت ليتلوا صلاة غامضة .. أنت قلت هذا بنفسك ، هل تذكر ؟ ..

أضاف د . (ريتشارد) :

- واللصوص لا يحطمون الزجاج بهذه الرعونة ، هذا اللص أحرق أو هو أراد أن تسمعه أنت ..

- واللصوص لا يدخلون البيوت من الطابق الثانى ما دام عندهم نوافذ الطابق الأول .

تنحج د . (ريتشارد) ونهض إلى الستارة وأزاحها ..
ثم قال :

- هناك ما هو أغرب .. هل لاحظتم كسر الزجاج ؟ ..
إنه مجرد فتحة صغيرة لا تسمح أبداً بمرور إنسان ..
نظرت فى عينيه .. وقلت :
- لكنها تسمح بمرور ..

نعم .. تسمح بمرور وطواط !
قال د . (لوفارسكى) :

- المزيد من الألغاز .. ! هل تريدان رأى ؟ .. أعتقد أن
بعض الجماعات السرية أو عبدة الشيطان على علم بوجود
المومياء لدينا .. وهم يحاولون سرقتها .
- لكن أحداً لم يعلم ما نعلم نحن ..

- طالما علمنا ما علمناه من المخطوطات فماذا يمنع
أن يعلم آخرون نفس الشيء ؟

- إن هذا يدعونا لمزيد من الحذر .. لم يبق سوى يوم
واحد على كل حال .. فلندعه يمر على خير بأية طريقة ..
ثم هز إصبعه فى وجهى .. وقال محذراً :

- لا مزيد من الزيارات الغامضة للبدرى لأن المرة
القادمة لن تمر على خير .. أريد أن تعود لمصر قطعة
واحدة دون ثقوب !

ونزل الرجلان السلم فى حين تخلفت عنهما .. كنت
أفكر .. ما دام اللص لم يدخل من النافذة فهو أحد المقيمين
بالببيت .. وما دام قوياً فهو رجل .. وما دام ليس أنا فهو

أحد العالمين .. وما دام رمادى العينين قوى البنية فهو ليس د . (لوفارسكى) ، إذن هو ...

نعم .. إن هذا يتفق مع ما حدث بالأمس .. دائماً هو د . (ريتشارد) فى كل حادث غامض ثم يظهر ليؤكد لى أننى أهلوس ، لكن .. ما الذى يخفيه هذا الرجل ؟ إنه يداعبنى دعابة عملية قاسية أو هو مخبول تماماً وهو شيء لا أستبعده .. إن من عاش حياته وسط هذا الهراء لابد أن يكون مخبولاً ..

ولكن لماذا أنا بالذات ؟ .. لأننى أصغرهم سناً وأكثرهم رعونة .. ولأنه لم يزل يحمل اختقار المستعمر لأهل البلد الذى استعمره .. لم تكن ثلاث سنوات قد مضت منذ حرب السويس .. فهل هو ذلك الإنجليزى المتعصب الحاقد حقاً ؟ .. لا أفهم .

على كل حال لم يبق سوى يوم واحد .. وليس فى جعبتى سوى الحذر والانتظار .

دخلت حجرتى وأغلقت بابها ، اتجهت للشباك وفتحته .. نظرت إلى أعلى .. إلى نافذة غرفة المكتب المكسورة .. خيل لى أن شيئاً ما يخرج ببطء من فتحة الزجاج .. ثم تبينت ما هو .. كان وطواطاً صغيراً سرعان ما فرد أجنحته مرفرفاً ودار دورتين فى الهواء ثم اختفى فى الظلام .. !

★ ★ ★

٨ - ليلة الأربعاء ..

تم إعداد كل شيء ..

وفى ذلك اليوم خرجت مع مسز (كامنجز كاترين) فى نزهة رائعة فى الريف الإنجليزى وتحدثنا عن كل شيء فيما عدا المومياء الموجودة بالبدروم، وقد خشيت أن ينزلق لسانى بشكل أو بآخر، لكنها كانت تعرف كل شيء فيما يبدو ..

عدنا للبيت عصرًا فتناولنا وجبة لا بأس بها ، ثم دعانا د . (ريتشارد) إلى النوم لأننا سنقضى الليل ساهرين . وفى حجرتى غرقت فى سبات عميق ..

ترانسلفانيا .. الشيطان .. دراكيولا .. د . ريتشارد .. سالى .. يهوذا .. دم وخفاش وقمر .. وخفاش ودم ... مائتا عام .. جنين الشر .. (دراكيولا) يدخل الغرفة .. جننت لأصطحبك .. كلا ... ليس أنا .. دعنى فرصة أخرى .. أنا لست عزرائيل .. أنا مجرد مصاص دماء بئس .. نظرة يهوذا .. ليتنى كنت خفاشًا يغرد فى الصباح .. كلا .. الخفاش لا يغرد .. كانت فلاحه ذاهبة للحقل فى قريتى .. حين .. حين ماذا .. لا أذكر .. لا تقترب منى ..

وللحظة لم أعرف أين أنا .. هل ظلام الغرفة حولى هو جزء من الحلم؟ أم أننى أنا نفسى حلم، و لقد غابت

الشمس وقد جاء الليل ، ولكن لماذا لم يوقظنى أحد ؟ ..
وهنا أدركت ما أيقظنى . إنه صوت خطوات غريبة
تمشى فى الردهة خارج الحجرة .. ثمة شيء مريب فى هذه
الخطوات .. إنها ليست خطوات إنسان يمر عرضاً ، بل
هى خطوات واثقة متأنية تهدف إلى أن أسمعها أنا ! ..
بحذر مددت يدي للأباجورة بجوار السرير وفككت
سلكها واتخذت منها أداة صالحة للضرب ، وببطء اتجهت
للباب . وهناك لشدة ذهولى - تجددت الخطوات - وتجمد
الدم فى عروقى .. صاحب الخطوات يقف الآن خلف الباب
مباشرة !!

أهو (ريتشارد) ؟ أم (لوفارسكى) ؟ ولكن لم هذا
التلصص ؟ مددت يدي إلى المقبض وفتحت الباب . وعلى
ضوء الردهة الخافت وجدت خيالاً مألوفاً ..
- د . (رفعت) .. لقد حدث شيء .

- (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟ كانت
شاحبة ترتجف ، وعلى عينيها الزرقاوين الجميلتين
غشاوة متجمدة من الدموع لم تنحدر بعد ..

- لا أحد هنالك :

- لا أفهم ..

- لا أحد هنالك .. كل غرفهم خالية ، مامى ودادى

و د . (لوفارسكى) ..



- د . (رفعت) .. لقد حدث شيء .

- (كاترين) ؟ ماذا أتى بك هنا .. وماذا يحدث ؟ ..

كل الغرف خالية !

- كلهم ؟ .. وكم الساعة الآن ؟

- الحادية عشرة مساءً .

- إذن بقيت ساعة على ميعاد نهوض المسخ .. لكن

أين ذهبوا ؟ هل رحلوا ؟

هل اختبئوا فى مكان ما ؟ . ولم تركونى أنا

وكاترين ؟ !

- أنا خائفة يا د . (رفعت) .. لقد نمت نومًا عميقًا

وحين نهضت لم أجد أحداً ..

كانت ترتجف كالورقة .. فمددت ذراعى وطوقتها ..

تحرك شيء فى قلبى ، للمرة الأولى ، فطنت إلى أننى

عشت خمسة وثلاثين عاما من عمرى وحيدا .. يا له من

شعور غريب أن تكون مسئولاً عن إنسان ما . وأن يحتاج

إليك إلى درجة البكاء .. أخذت بيدها ونزلنا إلى البدروم ..

كل شيء كما هو ... والتابوت المشنوم فى مكانه ..

ومومياء الخفاش ودلو دم الخنزير ... قلت لها :

- أنت تعرفين ما كان مفروضاً أن يتم هذه الليلة ؟ ..

هزت رأسها أن نعم ..

- وتعرفين أن الموعد بقيت عليه ساعة ؟

- نعم ..

- هل بحثت عن الآخرين فى البيت جيدا ؟
- « وفى الحديقة ... وفى البدروم ... لا أحد ... لقد تركونا ... » أشعلت سيجارة وجلست على حافة التابوت مفكرا .

- هل نطلب الشرطة بالتليفون ؟
- ليس لدينا واحد ، أقرب تليفون على بعد نصف ساعة مشيا .

- رائع !!
وهنا ساد الظلام إتمام البدروم .. لقد انقطع التيار الكهربائى ويا له من وقت لاتقطاعه ..
أشعلت شمعة كانت ملقاة على الأرض .. ظلانا ساقطان على الحائط كأن عملاقين يراقبان ما نفعله ونقوله ..

قلت وأنا أنفث دخان السيجارة :
- هل تعلمين يا صغيرتى ؟ يخيل لى أن كل الخطوط تتلاقى فى نقطة واحدة ..
إرغامنا - أنا وأنت - على أن نكون المسئولين الوحيديين عن عودة هذا الشيطان .. هل نحن أصلح الناس لذلك ؟ هل يرى الشيطان فينا من الشر الخفى ما يؤهلنا لذلك ببراعة ؟

- لقد صرنا مجبرين ..

هتفت كاترين فى حق :

- ولكن لماذا نحن مجبرون ؟ نستطيع أن نغادر هذا

البيت الرهيب وبعد نصف ساعة نصل للعمران .. الدفاع ،
الأمان .

صرخت فيها :

- كلا .. لو فعلنا هذا لظللنا للأبد نحترق بنيران

الفضول الذى لا يرتوى ، وظللنا لنعن جبننا ونتساءل
سؤالاً لا إجابة عليه أبداً :

هل كان (دراكيولا) سينهض ؟

إننا ظاهرياً أحرار لكننا فى الواقع مقيدون بأصفا

متينة من الفضول العلمى ..

نحن لا نستطيع إلا أن نستمر .. وسنستمر ..

- ولكن .

- لا لكن .. لو ضيعنا الفرصة فلن تعود قبل مائة عام

نكون نحن فيها قد شبحنا موتاً .. نموت دون أن نعرف .

كانت صغيرة السن ولم تفهم كل كلامى ، لكنها لم تكن

تستطيع أن تنصرف وحدها .. إن من دبر هذا الموقف لهُو

شيطان ذو عقلية جهنمية يعرف تماماً أن من سيتعرض

لهذا الاختبار هو لابد مستمر فيه ..

- وأين الآخرون ؟

- لا أدري .. ولا وقت الآن للإجابة عن هذا السؤال ..
المهم هو أن نعد هذا المكان لاستقبال الكونت .

بقيت عشر دقائق على منتصف الليل . وأحضرت دلو
دم الخنزير وقربته من التابوت ، ووضعت الخفاش
المحنط على صدر المومياء .. ثم أطفأت الشمعة حتى
لا تضايق سيد الديجور عند نهوضه ..

بعد سبع دقائق يتعامد المشتري على المريخ ،
وينكشف وجه القمر من وراء الغمام .. وبعد سبع دقائق
يعرف العلم إلى الأبد ما إذا كان السحر خرافة أم لا ..
وما إذا كان القدماء واهمين أم لا .

أما أنا فكنت أردد كالمجنون بالعربية التي لا تفهمها :
- لن ينهض هذا الشيء لن ينهض .. أنا واثق من هذا
وإلا غدونا في موقف لا نحسد عليه .
بقيت أربع دقائق ... ثلاث ..

★ ★ ★

٩ - المفاجأة ..

الساعة الآن الثانية عشرة والنصف ..

لم يحدث شيء . برغم الظلام الدامس ، أرى حدود
الجسد المسجى فى التابوت ، وعينى كاترين
اللامعتين ، وأشم رائحة الفورمالين ، وأسمع دقات
قلبي ... ، لم يتغير شيء ..

كان كل هذا وهما ..

أشعلت الشمعة فى تودة فأضاءت المكان إلى حد ما ..
وقد بدا لى الكونت مبتذلاً وسخيفاً إلى حد لا يوصف ..
نفس الوجه والشعر المتآكل .. و ... و ...
- انتهى الأمر ..

قلت لكاترين لكنها لم ترد ، نظرة غريبة شاردة فى
وجهها .. لقد حطمتها هذه التجربة ، لكن لم يكن لى مفر ،
المهم الآن هو معرفة أين ذهب الأغبياء الآخرون ..

- قد يكونون خرجوا لغرض ما .. أو هم مختبئون فى
دعابة سمجة ، أو ..

وأشعلت سيجارة ، غريبة رائحة الكبريت هذه .. كنت
أحمل قداحة ، لهذا اندهشت للرائحة ، د . (ريتشارد
كامنجز) الأحمق الذى أفنى حياته فى ألعاب
صبيانية ، وذلك اليهودى البدين ، وأنا الذى سأرجع
للقاهرة محملاً بذكریات باسمه لا أكثر .. رائحة الكبريت .

الآن أستطع القول إن العلم هو العلم .. وكل ما عداه هو خزعبلات ، ولكن لماذا تنتظرين إلى يا (كاترين) هذه النظرة الوالهة .. كنت ما أزال وسيماً محتفظاً بشعري ، لكنى لم أكن جذاباً لهذه الدرجة ، خاصة لفاتة مراهقة .
- كاترين .. هيا نصعد .

لم ترد ، وفجأة انفجرت تضحك فى هستريا .. تضحك ... وتضحك فى الظلام .. لقد جُنت المسكينة ! .. ثم نهضت ، وهى تترنح إلى .. إلى دلو الدم ومدت يدها فيه وأخرجت أصبعها السبابة ملوثاً ، و ... لعقته فى تلذذ .
- كاترين ، أيتها المجنونة ! ..

التفتت إلى بشفتيها الحمراء وهمست فى صوت بارد :

- أنت لم تفهم بعد أيها الغبى .. لم تفهم .
ما أغرب هذا الذى تفعله ، لقد جُنت تماماً .. و ..
التابوت ظل فى مكانه كل هذه القرون ممدداً به الكونت والصندوق العاجى على صدره .. لهذا بدت لى قصة د . (لوفارسكى) غير منطقية وملفقة ، لأنه لا يمكن أن يقتل فى كل مرة ويعيدون تسجيله فى التابوت بنفس الوضع ..

- لن تفهم أيها الأحمق .

أسنانها تلتصق فى الظلام ، وهنا فهمت كل شيء .. لم يحدث أبداً أن نهض (دراكويلا) من تابوته ، كانت الطقوس

تتم بجوار تابوته فى كل مائة عام ، من ثم تنتقل روحه
لتحل فى أحد ممارسى الطقوس ، يصير هو (دراكبولا)
الجديد .. فى حالتنا هذه كنت أنا و (كاترين) المختارين
لهذا الغرض ؛ لهذا استبعد الآخرين بصورة ما ..والآن
(كاترين) - بعد منتصف الليل - تغيرت كثيرًا جدًا ..
(كاترين) شربت الدماء وتلتمع أسنانها الحادة فى الظلام
وتصدر رائحة الكبريت اللعينة ..

وأنا حبيس معها فى البدروم ! ..
لقد فهمت كل شيء متأخرًا جدًا ..
- د . (رفعت) : تعال وقبلنى ..
صوت مفر قادم من عالم بعيد ، إذن هذا هو كل شيء .
- تعال ..

ولهذا لم أتحول أنا أيضًا ، لأنه لا بد لمصاص الدماء
الوليد من وجبة عشاء .. وبماذا يتعشى إذا غدوت أنا أيضًا
مصاص دماء ؟!

وقبل أن أفهم أنا نفسى ما حدث ، أطلقت ساقى للريح ،
جريت كما لم أجر فى حياتى ، خرجت من القبو ..
الردمة .. مدخل البيت .. الظلام الدامس جعلنى أصطدم
مئات المرات بأشياء مجهولة ، قلبى كاد يشب من حلقى ..
الحديقة وضوء القمر يغمرها ..

وبدأت أركض .. أركض .. أركض .. ومن بعيد لمحت
أضواء العمران ورأيت أناسًا عاديين ..

★ ★ ★

٩ - الخاتمة ..

خلال أربع وعشرين ساعة كنت قد عدت لبيتى السعيد فى (الدقى) بالقاهرة، قضيت أياما عديدة أتخيل (كاترين) تهيم فى الفلاة المحيطة ببيتهم تبحث عن عابرى السبيل وتخيلتها تموت بوند خشبى فى صدرها .. بعد شهور تشجعت وأرسلت خطابا إلى د . (ريتشارد) - أو إلى عنوانه على الأقل - فلم يصلنى أى رد .. أرسلت ثلاثة خطابات أخرى، إلى أن وصلنى خطاب من مالك البيت الجديد يقول لى إن د . (ريتشارد) لم يعد يعيش هناك، وأنه ارتحل إلى أستراليا مع عائلته، ولا يعرف عنوانه هناك ..

كم من ليلة سوداء قضيتها أستعيد ما حدث وأحلله . هل كنت واهما؟ هل كان هذا حلما؟ أم كان هذا حقيقة تتلخص ببساطة فى أن الفتاة قد انهارت أعصابها بفعل التجربة الجهنمية؟ أم كان هذا واهما عشته حين حُبست وحدى فى البدرود مع مصاصة دماء؟ ..

لا أدرى .. ولن أدري أبدا .. هل قتلت (كاترين) بيد إنسان لم يتلوث - إنسان مثل أبيها - وهرب بعدها إلى أستراليا؟

أم أنها قتلت ذويها فى تلك الليلة وجاءت غرقتى تولول
وتبكى أم أن الأمر كله دعابة عملية قاسية أجادوا
حبكها .. ؟

أسئلة كثيرة بلا إجابة ، ولا أرجو لها إجابة .. كل
ما أعرفه أننى لن أحضر أبداً أي مؤتمر عن أمراض
الدم .. ولن أذهب أبداً إلى (يوركشاير) أو (أستراليا) ..
وأبداً لن أشاهد فيلماً لدراكيولا ! ..

- شعرات عديدة شابت فى رأسى وأنا أنتظر أن يصلنى
انتقام الكونت (دراكيولا) إلى بيتى فى الدقى خاصة وأنا
- على ما أظن - آخر من يعرف حقيقته ، وحزم ثوم
علقتها خلف الشبابيك والأبواب ، وأوان فضية ، وآيات
قرآنية .. لكن لم يحدث شيء والحمد لله إما لأن الله ستر ،
أو لأنى كنت واهماً فى مخاوفى ..

... وبعد سنتين من هذه الأحداث ، قابلت شيطاناً من
نوع آخر فى مكان آخر أنسانى ما حدث تماماً .. لكن هذه
قصة أخرى ...

د . رفعت إسماعيل

القاهرة - يناير ١٩٩٢



انتهى الجزء الأول (بحمد الله)

روايات مصرية للجيب

ماورا، الطبيعة



الجزء الثاني

أسطورة الرجل الذئب

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع لسانك بالعجالة - القاهرة - ٩٠٨١٥٥

مقدمة ..

مرة أخرى أعرفكم على نفسى : الدكتور رفعت
إسماعيل أستاذ أمراض الدم سابقاً بجامعة (...) وعدد
لا بأس به من جامعات أوروبا وأمريكا ، السن يناهز
السبعين .. عزب ، لأن حياتى الصاخبة لم تدع لى الفرصة
أهذا كى أكون كالآخرين ..

لقد عرفت أشياء كثيرة .. فتحت تابوت الكونت
(دراكولا) .. صارعت المذعوب فى رومانيا .. بحثت
عن وحش (لوغ نس) فى اسكتلندا ، قابلت رجل الثلوج
الرهييب فى التبت ، ولبيت نداء النداهة فى غيطان الذرة
المظلمة .. وعرفت (الزومبى) فى جامايكا .

كل هذا سأحكيه لكم بالتفصيل فى هذه السلسلة .. لكنى
- مرة أخرى - أرجو من ضعاف الأعصاب ومرهفى الحس
أن يمتنعوا عن القراءة ، وبذلك يوفرّون على أنفسهم
ساعات من التوتر والهلع وخشية الظلام ..
اليوم أحكى لكم قصتى مع أسطورة الرجل الذئب ..



١ - بلد الأساطير ..

نظر (أستبان) إلى ذبالة الشمعة المحترقة وإلى وجوه
الجالسين حوله ثم همس :

- يا رفاق .. إن المذعوب هو أحد الجالسين على هذه
المائدة ! ..



قبل أن نصل إلى هذا الجزء ، دعونا نعود بضع أيام إلى
الوراء ، إلى زيارتي لرومانيا للمرة الأولى في حياتي ،
كنت في السابعة والثلاثين من عمري ، وقد مضى عامان
على مغامرتي الرهيبة مع الكونت (دراكيولا) .. وكنت
أعتقد - واهما كدأبي - أن متاعبي قد انتهت للأبد وأن
الوقت قد حان كي أتزوج وأكون أسرة صغيرة وأفتتح
عيادة نظيفة بمجرد عودتي من هذه المهمة العلمية ..

في إحدى جامعات كلوج قابلت الصحفي الروماني
(جوستاف فيكولستو) .. وهو شاب شديد الذكاء يتمتع
بروح دعاية قوية ، ويجيد الإنجليزية كأهلها .. ومتبحر
في الأدب والعلوم الإنسانية ، وقد اعتبر نفسه مرشداً لي
في كل خطواتي ، وعلمني الكثير عن رومانيا البلد الذي
كنت أعرف عنه أقل القليل أو لا شيء على الإطلاق ..

- ما هي الديانة هنا ؟ ..

- إن غالبية السكان هم روم أرثوذكس ..

- والشيعية ؟

ابتسم في تحفظ .. ثم همس وهو ينظر نظرة ذات

معنى :

- يا رفيق .. إن الشيوعية لن تغير رومانيا .. إن

رومانيا نسيج وحدها في أوروبا وهي لن تتبدل أبدا .

رومانيا - كما قال لي - هي كلمة تعنى أرض روما ..

لأن القائد الروماني العظيم (ترايانو) قد فتحها وطرده

البربر منها في موقعة (داتشيا) سنة ١٠٦ ميلادية ..

ومنذ ذلك الحين صارت ولاية رومانية .

ثم غزاها القوط ، ومن بعدهم السلاف ، في القرن

السادس الميلادي .

- أعتقد أن السلاف هم من أعطاهم طابعها المميز ؟

- إلى حد ما ، والأهم هو أنهم قسموها إلى منطقتين :

(ترانسلفانيا) و (والاشيا) ..

- ترا .. ترانسلفانيا ؟ . حيث قصر الكونت ..

- (دراكيولا) ! .. نعم ! .. إنها بلد خالد بالأساطير ..

وأهم معالمه السياحية هو قصر الكونت (دراكيولا) ، يجب

أن نزهده معا .. فهو مكان مثير للخيال إلى أقصى حد !

يا لك من أحمق ! .. ماذا تعرف أنت عن هذا القصر
وعن تابوت الكونت وعن خادمه .. وعن .. وعن ؟
- بل إن (ترانسلفانيا) هى أيضا مكان قلعة
(فرانكنشتاين) كما وصفتها مدام (مارى شيللى) !
- يا له من بلد جميل !

- المهم .. كنت أقول لك إن الأتراك غزوا رومانيا ..
ودارت معركة كبيرة بينهم وبين (ستيفانو) الأكبر فى
سهول راکوفنا .. ثم تنازلت تركيا - الرجل المريض - عن
أجزاء من البلاد للنمسا فى صلح (باساروفيتش) ..
- ومتى إذن صرتم أحرارا ؟ ..

- حدث هذا فى عام ١٨٥٦ .. وانتخب للحكم الأمير
(الکسندر كوز) بعد الحرب العالمية الأولى ضمنا للبلاد
(بوكوفنيا) من روسيا .. ثم جاءت الحرب العالمية
الثانية .. استولى الجنرال (أنطونسكو) على الحكم لصالح
النازى ، وكان من جراء هذا أننا فقدنا (بوكوفنيا) مرة
أخرى هى وأجزاء من (ترانسلفانيا) عادت للمجر ..
بعد الحرب صرنا دولة شيوعية تابعة للاتحاد
السوفيتى ..

(كان هذا الكلام فى عام ١٩٦١ ولم يكن أحدنا يتخيل
ما سيحدث لرومانيا - وللشيوعية كلها - بعد ثلاثين
عاماً) ..

قلت له :

- ولماذا تحبون الشيوعية ؟

- مكره أخاك لا بطل ! .. إن موسكو لا تترك لأحد

فرصة الاختيار ، أضف إلى هذا أننا كنا نريد أى تغيير بعد مظالم العهد البائد ..

- هلا أعطيتنى سيجارتك أشعل بها سيجارتى ؟

قدمت له سيجارة فأخذها .. وهتف :

- أرايت ؟ .. قبل سنة ١٩٤٧ كانت هذه جريمة يعاقب

عليها كلانا بالسجن !

- أية جريمة ؟

- إشعال سيجارة من سيجارة ! .. كاذت قوانين

الاحتتار تحتم على المواطن استعمال عود ثقاب لهذا

الغرض كى تروج تجارة الثقاب (★) !

أخذت أضحك .. فلم أتخيل من قبل هذه العبقرية فى

تقييد الحرية الشخصية للإنسان ، يا للجهل البشرى !

قال جوستاف :

- سترى الكثير من الأعاجيب فى رومانيا .. عليك الآن

أن تذهب لفندقك كى تستريح .. وسأراك غدا ..

★ ★ ★

(★) حقيقة .

كانت جولة رائعة استغرقت أسبوعين ، زرنا فيها جامعات (كلوج) وكنائس (بوخارست) الصيقة .. ودخلنا حانات (مامايا) على البحر الأسود ، حيث روى لنا البحارة الأشداء قصصا مثيرة .. وزرنا ميناء (كونستانتا) أهم موانئ رومانيا ، لكن ما أثر فى أشد تأثير كان زيارتى (لترانسلفانيا) ..

- (ترانسلفانيا) هى حوض منخفض فى غرب البلاد تحده سلسلة جبال الألب الترانسلفانية ، وإلى الشمال تجد مراكز صناعة الصلب فى رومانيا .. ثم منطقة (الكربات) ..

- هذا الاسم مألوف لى ..

- (الكربات) هى منطقة رعوية .. جبال متوسطة الارتفاع تكسوها الحشائش ، وفى الجنوب يجرى نهر الدانوب ..

- الأزرق ؟

- لا يوجد دانوب أحمر فيما أظن ! ..

وفى تلك الليلة زرنا قصر الكونت (دراكويولا) العتيق المتهدم ، وكنت أذكر تفاصيله من الصور الفوتوغرافية فى المرة السابقة ، لم أتمالك أن أرتجف وأنا أتخيل

د . (ريتشار) و (لوفارسكى) يتسلان ليلا لهذا القصر
المتهدم كى يبحثا عن مومياء (دراكيولا) ، وتذكرت رعب
أهل القرية من المرور جواره ..
إن هذا المكان ينبض بروح ما ، لا يمكن وصفها ..
قال لى (جوستاف) :

- إن التراث الشعبى فى رومانيا مليء بقصص
الرعب ، والأمهات هنا يخفن أطفالهن بحكايات مصاصى
الدماء والمذموبين و (نوسفراتو) (★)
- ولماذا فى رومانيا بالذات ؟
- إما أن هذا يعود لخصوبة الخيال المحلى .. وإما أن
هذه المسوخ موجودة فى رومانيا بالفعل ! ..

★ ★ ★

(★) الاسم المجرى لدراكيولا ..

٢ - العاصفة ..

انطلقت سيارة (جوستاف) فى الطريق الوعر المتشعب
والمطر ينهمر بغزارة على زجاج النافذة فى حين كان بخار
الماء يتكاثف من أشداقنا على باطن الزجاج الدافئ ..
فكنت أمسحه من أمامه بمنديل من حين لآخر ..

ومن بعيد - عبر الغابات الكثيفة المظلمة - كان لسان
من البرق يشق السماء من حين لآخر ليضيء الموجودات
بلون أزرق بارد قاس ثم يختفى .. وبعد ثوان يدوى هزيم
الرعد كأنما نجوم السماء يصطدم بعضها البعض ..

- إنها الكريفات ...

- الكريفات ؟ ..

- إنها ريج شتوية عاتية تجتاح هذه المناطق ..
وتحدث كارثة فى المزروعات .. إنها وبال على الفلاحين
هنا .

- يا له من فال سيئ ! ..

- لا تبهتس يا رفيق .. أنت لم تر سوى رومانيا
الباسمة ، وقد هان الوقت كى تراها حين تكشر عن
أنيابها ! ..

كنا نجتاز دلتا الدانوب فى جنوب البلاد ، وكانت الطيور
كلها قد فرّت قبل العاصفة ، ولم يبق فى الغابات المترامية

إلا بعض الذناب تبحث عن مأوى ..

بدأ الجليد يتساقط رقيقًا ناعمًا لكنه فقال ، فى ثوان
تكتسى الغابات بلون أبيض جميل ، وكنت لم أر الجليد فى
حياتى .. وقد خيل لى أننى أحلم .. فجأة يتحول المشهد
إلى مسرح لقصة خرافية ما .. نعم .. لابد أن ينشط الخيال
البشرى فى هذه الأصقاع .. لابد .

- رائع !

- هل تعنى أنك لم تر جليدًا قبل اليوم ؟

- نعم ..

- ألم تقل إنك زرت إنجلترا وفرنسا مرارًا ؟

- بلى .. كان ذلك دائمًا فى جو صحو للأسف !

انفجر يضحك .. ثم اشعل سيجارة .. وهتف :

- إن دلتا الدانوب مليئة بالهجع والبلشون .. والدببة ..

والفهود !

- فهود ؟

- طبعا .. أنت لم تر رومانيا بعد يا صديقى .. ويبدو

أنك سترى منها الكثير من الآن فصاعدًا ..

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أننا لن نستطيع الاستمرار فى هذا الجو دون

جنازير على العجلات .. يجب أن نتوقف ! ..

★ ★ ★

شرع (جوستاف) يتفحص خريطة الطرق .. ثم تعتم :
- أقرب مدينة منا هي (تورسفرين) لكنها على
مسافة لا بأس بها ، إلا أن هناك قرية صغيرة اسمها
(كرايوفسكا) على بعد عشر دقائق .. اعتقد أنها أملنا
الوحيد .. المهم هو أن نتحرك سريعاً قبل أن يتعذر ذلك ..
وافقته على كلامه لأن دمانى الحارة القادمة من وادى
النيل كانت قد بدأت تتجمد فى عروقى ، كنت أرتدى
بول أوفرين ومعطفاً وتحت بنطلونى ذلك السروال القطنى
السميك الذى أهديته إلى المرحومة أمى حين ذهبت
للإسكندرية أول مرة فى حياتى ، لكنى برغم ذلك كنت
أرتجف .. وبدأ أنفى يسيل .. وأدركت أننى فى حالة
سيئة .. سيئة ..

أعاد (جوستاف) الخريطة إلى تابلوه العربة ، ثم أدار
المحرك عدة مرات .. احتبس فيها نفسى لا أريد التفكير
فيما سيحدث إذا رفضت السيارة التحرك .. ثم انطلقت
السيارة ، ومضينا صامتين لا شيء حولنا سوى الأشجار
المغطاة بالثلج تلتصق فى كشافات السيارة .. ومن بعيد كان
ذنب أو اثنان يجريان من طريق العربة .

- (جوستاف) ؟

- هم م م ؟

- ماذا عن قضة الصقيع ؟!

وقضة الصقيع - إن كنت لا تعرف - هو نوع من
الغفرينا يصيب الأطراف في البرد الشديد ويؤدى لبتريها ،
قال لى ما.معناه :

- فال الله ولا فالك !

- أنا لا أمزح .. أنا لا أشعر بأصابع قدمى ! ..

- على كل حال ليس الطقس بهذا السوء .. لسنا فى
(سيبيريا) فلا نتصرف كالأطفال ..

ظللت صامتاً وأنا ألغنه فى سرى ، وألغن دلتا الدانوب ،
وهذه الكر .. الكرفات أو أيًا كان اسمها ، وشرعت أتخيل
نفسى عانداً للقاهرة دون قدمين لأتسول جوار مسجد
الحسين ، أو أتخيل نفسى ضحية لذناب رومانيا الشهباء
التي لا تمزح .. هل سيكرمون ذكرى فى كلية الطب
ويسمون دورة المياه بها على اسمى ؟ .. دورة مياه
الشهيد (رفعت إسماعيل) ! ..

فى ذلك الوقت لم أكن أعرف أننى سأعيش ثلاثين عاماً
أخرى سليماً معافى ، واليوم أتذكر ، فى كل مآزق حياتى
- وما أكثرها - كنت فى كل مرة أعتقد أنها الأخيرة ، لهذا
لم أستمتع ولم أتعلم ..

حين تدخل أنت بيت الأشباح فى مدينة الملاهى أو فيلم
رعب تكون على علم تام بأنك - مهما رأيت - ستعود

إلى بيتك سالمًا بعد هذا الفرع ؛ لهذا تعيش التجربة
بأكملها ، أما أنا فلم أكن أعرف ..

والدرس الذى تعلمته - بعد سنوات طويلة - هو أن
أفترض فى كل مازق أننى سأخرج منه سالمًا من ثم أحتفظ
بوضوح وترتيب فكرى ، إن الهلع لايجدى .. والموت هو
ميعاد مكتوب لن يغيره هذى ولارعبى ، فإذا جاء ..
فلأمت كرجل مبتسمًا واثقًا ..

لكنى لم أكن أفهم هذا وقتها ! ..

ومن بعيد لاحت أضواء القرية .

كانت الساعة العاشرة مساءً .. والشوارع مغطاة
بالتلج ، والظلام شبه تام فيما عدا بعض الأضواء خلف
النوافذ المغلقة ..

وارتحفت حين تخيلت الأسرة الملتفة حول المدفأة ..

والطعام ..

.. الآن علينا أن نجد خائنا ..

وأمام لافتة خشبية بضيئها مصباح (جوستاف)
من العربة .. ثم قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة
جواره .. وصاح باللغة الرومانية بشيء ما ، فردّ عليه من
الداخل صوت فقط يقول شيئًا آخر ، حين تسمع لغة
لاتفهمها يخيل إليك أن الكلمات تجرى بين شفاه أصحابها



قرع الباب بقبضة نحاسية معلقة جواره .. وصاح باللغة الرومانية
بشيء ما ..

بسرعة لا يمكن متابعتها ، (جوستاف) يصرخ
والصوت يصرخ .. ماذا هناك ؟

عاد إلى وهو يسب ويلعن - بالرومانية - بألفاظ أعتقد
أنها مشينة للغاية ، ثم فتح باب السيارة وجلس جوارى .
- الخنزير لا يريد أن يفتح لنا ..
- ولمه ؟

- لا أدري .. قال إننى أستطيع أن أشكوه لمكتب الفنادق
أو للحزب نفسه لكنه لن يفتح ..
- ربما يظننا لصوصًا ؟

- كلاً إن رعاة الدانوب ودودون جدًا .. ولكن هذا الرجل
.. لا أفهم .. وأدار محرك السيارة ، وعدنا نجوب شوارع
القرية المكسوة بالثلج صامتتين .. بعد دقائق سألته :
- (جوستاف) ؟

- نعم ..

- هل الليلة مناسبة دينية عندكم ؟

- لا أعتقد .. ولماذا ؟

- لا يوجد بيت فى هذه القرية إلا وغرس صليبًا حديدًا
أمام بابه ! .. ألم تلاحظ هذا ؟ !!

★ ★ ★

٣ - الكنيسة ..

وصلنا للكنيسة العتيقة في القرية .. آخر أمل لنا في المبيت .. نزل (جوستاف) من العربة واتجه نحو باب الكنيسة الحديدى الصدى وصفق بكفيه .. ولم يفته أن يشير لصليب حديدى مفروس فى الجليد أمام الباب .. ونظر إلى نظرة معناها : أنت على حق فيما لاحظت ..

بعد دقائق تحرك ضوء مصباح ، وانفتح الباب الصدى فى حذر عن وجه ملء بالتجاعيد ، كان هذا هو القسيس .. لحيته البيضاء ونظراته الطبية السمكة نكرتانى بقساوسة الروم الأرثوذكس الذين عرفتهم فى الإسكندرية ، تحدث معه (جوستاف) بكلمات مقتضبة فهز رأسه استنكاراً ودعانا للدخول ..

أغلقت خلفى باب السيارة ووثبت إلى الداخل وأنا أرتجف برذا . صعدنا سلالم متآكلة إلى غرفة واسعة رحبة .. وكانت هناك .. مدفأة ! الذهب الأحمر العزيز بترافق مرحباً بنا .. وكانت هناك سيدة عجوز جالسة تحرك التريكو جوار المدفأة .. قممها لنا الأب بكلمات لم أفهمها ..

فقال (جوستاف) :

- الأنسة شقيقة الأب (أنطونيسكو) ..

وكانت هناك بعض كتب الصلاة على مائدة خشبية
عتيقة ، وشمعدانان .. وعدة أيقونات ، كانت غرفة قديمة
لكنها نظيفة مريحة و .. دافئة !

جلسنا أمام النار شاعرين أن اللهب ينفذ عبر عظامنا
ليذيب النخاع بداخلها ! .. أما الأب (أنطونيسكو) فنهض
إلى زجاجة صغيرة صبّ لنا منها شيئاً في قدحين من
الخرف .. وقدمه (لجوستاف) ولى .. نظرت إلى
(جوستاف) فى تساؤل فقال :

- روم ساخن ليجرى الدم فى عروقك ..
اعتذرت له وناولته الكأس ليشربها بدلاً منى فى حين
شرح هو الأمر للأب :

- مسلم ..

قالها بالرومانية كما ننطقها نحن بالعربية .. فنظر إلى
الأب فى مودة :

- آها ! .. مسلم ؟

ودارت محادثة قصيرة أدركت مفادها بالطبع .. من أين
أتيت أنا وكيف ؟ وماذا أفعل فى هذا الركن المشنوم من
العالم فى هذا الزمهرير بينما بلدي هو أجمل وأدفاً بلدان
الأرض ؟ .. لو كنت أجيد الرومانية لقلت له إننى مجنون
أيها الرجل الطيب .. مجنون .. ومعتوه .. وأبحث عن
حتفى ..

جاء العجوز فى تؤده حاملة وعاء تفوح منه أبخرة
زكية .. ورغيفين طويلين .. وطبقًا به بعض شرائح
اللحم ، أشار القسيس إلى اللحم ولى وقال كلامًا ما لم احتج
لمجهود كبير كى أعرف معناه ..

قال (جوستاف) :

- يقول لك إن هذا اللحم ..

- .. ضأن .. وليس لحم خنزير .. أليس كذلك ؟

- وكيف عرفت ؟

إن لغة الإيماءات والنظرات عالمية باصديقى ..
لو أنك شاهدت فيلمًا باللغة البنغالية لفهمت ثمانين فى
المائة من قصته دون جهد ..

وعلى المائدة جلسنا نرشف الحساء الذى لا أعرف
ما هو وإن كنت أميل بعد تذوقه إلى الاعتقاد أنه حساء
أحذية .. وكانت تسبح فيه أشياء مرعبة لكنه كان ساخنًا
وهذا يكفى !

على حين جلس (جوستاف) والقس تبادلان حديثًا لم
أفهم حرفًا منه .. سيل من الشينات والخاءات ينهال فوق
رأسى ويكاد يطير السائدة بما عليها .. هل اللغة الرومانية
خشنة إلى هذا الحد ؟

عينا القس تتسعان خلف نظارته وهو يضغط على
مخارج الحروف .. و (جوستاف) يبدو غير مصدق وإن
كان قد توقف عن المضغ مما دلنى على أن الأمر أثار
اهتمامه إلى حد ما ، الأب يرسم علامة الصليب ..

- عم تتحدثان يا (جوستاف) ؟ ..

نظر إلى فى تهكم .. ثم قال :

- خمن ! .. ألسنت خبيراً فى الأفلام البنغالية ؟ ! ..
الإيماءات يا صديقى .. الإيماءات !

- حسن .. لا تمزح ! .. هناك معتقد ما يؤمن به الأب
ويخشاه كثيراً لكنك لاتصدقه .. وإن كانت القصة قد بدأت
تؤثر فىك ..

- حسن .. أنت على حق .

- ولأكون أكثر دقة .. يقول لك إن الشيطان أو روح
الشر - أو شينا من هذا القبيل - يتجول فى القرية هذه
الليلة المشنومة لهذا أغلق السكان بابهم وغرسوا
الصلبان على الأبواب ، وإنه يسأل الرب أن يحفظنا هذه
الليلة ..

نظر إلى فى شك .. وتساءل :

- قلت إنك لاتعرف حرفاً من الرومانية ؟

- بالفعل .. لكنها الإيماءات كما قلت لك .. ثم إن
القصة هي دائماً هكذا .. تعلمت ذلك من قصص (إدجار
آلان بو) (★) ! ..

- وهل أدركت من الإيماءات أيضاً أنه مزق رجلين
أمص ؟

- من هو ؟

- إنه (بيلاسكو) المذعوب .. أو بمعنى آخر ، الذئب
الذى كان رجلاً ..



(☆) (إدجار آلان بو) الشاعر الأمريكى العبقري .. كتب أرق
قصائد الحب مثل (أنابيل لى) وأفطع قصص الرعب مثل (قناع
الموت الأحمر) و (الحشرة الذهبية) و (سقوط منزل آشر) .

٤ - رعب فى القرية ..

صحت فى زهول :

- هل .. هل تتحدث عن أسطورة الرجل الذى يتحول

إلى ذئب حين يصير القمر بدرًا ؟

قال فى تشفّ إذ نجح أخيرًا فى إثارة فضولى .

- إن رومانيا هى موطن هذه الأسطورة .. وبالتحديد

سهل الدانوب ، وللمزيد من الدقة الجغرافية يبدو أن

موطنها هذه القرية للأسف !

ثم ابتلع ملحقة من حسانه .. ودعانى بإشارة إلى أن

أواصل الأكل .. لكن ما أكلته كان قد تحول فى معدتى إلى

قالب من الطوب .. خرافة أخرى تلاحقنى فى هذا الركن

من العالم كأنى الوحيد المؤهل لهذه المهام القذرة ..

قلت :

- لكن القمر كان بدرًا البارحة .. المفروض بحسب

الأسطورة أن يسود الهدوء والسلام القرية بعد ليلة البدر

الصاخبة ، ويعود المذعوب إنسانًا ..

تبادل بعض كلمات مع الأب (أنطونيسكو) ، ثم التفت

إلى :

- ثلاثة أيام ..

- إذن يظل المذعوب يعيثُ فسادًا فى القرية ثلاثة

أيام .. هذا كثير ..

وإذن فليلة باكر هي آخر ليالى هذا الشهر ..
- أظن هذا ..

وشرعت أنهى حسائى على حين استمرت المحادثة بين
(جوستاف) والقس ، التفت إلى (جوستاف) ، قائلا :
- قلت للقس إنك لاتصدق حرفا ..
(جوستاف) ! إن هذا لا يلىق .. إن أرائى
الخاصة ...

- وهو يدعوك أن تزور الحانة باكرا لتسمع ما سيقوله
الرجال هناك ..

- ولكن اعتذر له .. أنا لم أقصد .. يا لك من ...
وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة
(نوسفيراتو) عدة مرات .. ثم أشار إلى القس ضاحكا ..
- إنه يسالك عن مغامرتك مع الكونت (دراكويلا) ..
نظرت إليه فى غيظ ، وقلت :

- قل له إننى اقتربت من القصة بشكل مروع .. لكنى
حتى هذه اللحظة لست واثقا من شيء ، قد تكون كل القصة
سلسلة من الأوهام ، وقد تكون دعاية قاسية شربتها حتى
الثمالة .. لكنى أعرف شيئا واحدا ..

لم أجد أى دليل مادى على أن مصاص الدماء عاش أو
يعيش فى هذا العالم .. وإن موقفى من الخرافات لم ولن
يتغير .. كل ما لا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يعقل هو غير
موجود ، هذا هو رأى فى أسطورة (دراكويلا) ..



وعادا للحديث مرة أخرى .. وسمعت كلمة (نوسفيراتو) عدة مرات ..

قال (جوستاف) مصحّخا :
- (نوسفيراتو) !.. إنهم يفضلون هذا الاسم هنا وفي
بولندا والمجر ..

- نعم .. هم على حق .. فهو يبدو محبباً للنفس !..
عادة يتحدثان عشر دقائق .. ثم التفت إلى (جوستاف)
قائلاً :

- يقول الأب إنك مخطئ !..
بالبلاغة هذه اللغة !.. ربما استغرقت ساعتين كي
أقول له كلمة مساء الخير ، تشاءبت فقال الأب شيئاً
مالمسيدة .. فقامت على الفور تحمّل مصباح
الكيروسين .. واقتادتنا في تودة إلى غرفة صغيرة بها
فراشان نظيفان .. وقالت شيئاً ما هو - بلاشك - كلمة
مساء الخير بالرومانية ، وعلى الفراش ارتمينا بثيابنا لأن
حقائبنا كانت في السيارة ولأن أحداً لم يكن مستعداً للنزول
في الصقيع والظلام كي ينعم بالنوم في بيجامة .

... وغرقت في نوم عميق

... غريب هو عواء الذئاب في هذه القرية .. صوت
قوى متحشرج أليم كأنه إنسان يتألم في أعماق الجحيم ..
أيقظني هذا العواء ثلاث مرات بعد منتصف الليل .. فكنت
أردد آية الكرسي وأعاود النوم متخيلاً ذلك الذئب البائس
الذي يمشي الآن في الظلام والثلوج ، باحثاً عن فريسة !..

فى الصبح خرجنا - أنا و (جوستاف) - نسير فى
القرية ..

- أول شىء هو أن نجد ما يلزم للسيارة كى نواصل
الرحلة .. ثانى شىء هو أن نذهب للحانة - كما قال الأب -
فقد نجد شيئاً يهمنى .. أو يهمنى أنا ..

وعند جراج القرية توجه (جوستاف) إلى رجل بدين
يكسوه الشحم والعرق ويصرخ ، تحدث معه صديقى
فواصل الصراخ .. ثم عاد إلى .. قلت باسمًا :

- كلهم فى هذه القرية يصرخون ويرفضون طلباتك ..
قال فى صرامة :

- لـامجال للمزاح .. إنه يقول إن الكريفات سدت كل
الطرق بالثلوج ..

وخط التليفون الوحيد مقطوع فلم يستطيعوا استدعاء ..
كاسحات الثلوج ..
وهذا يعنى ..

- نعم .. بالضبط .. يعنى أننا سجناء فى هذه القرية
حتى يذوب الجليد !

★ ★ ★

فى الحانة طلب (جوستاف) بعض الروم له وقهوة
لى ، وجلسنا وسط بحر من الشوارب الكثة السلافية
ونظرات الشك .. ورجال مفتولو العضلات زادهم الفراء

الذى يرتدونه ضخامة .. وكلهم تقريباً مسلحون ببنادق ضخمة عتيقة ..

- كلهم هنا من الرعاة .. وحياتهم خشنة إلى حد لا يوصف ، ثم يجدون أنفسهم أمام فتاتين رقيقتين مثلى ومثلك !

قالها (جوستاف) وهو يرشף قدحه فى حين انكشمت أنا فى مقعدى وسط هذا المناخ غير المرحب ، اقترب منا صاحب الحانة فأخرج (جوستاف) حفنة من اللآيات (★) دسها فى قبضته .. وقال شيئاً ما ، من ثم تهلل الرجال طرباً وشرعوا يحتسون الروم فى مرح مرعب .. إنها تلك الحيلة القديمة : كل مشاريب (الجدعان) على حسابى .. من ثم تزول الكراهية والحواجز البشرية فى ثوان .. اقترب منا رجل قوى البنية وشد كرسياً على مائدتنا وصافحنى أنا و (جوستاف) بيد كادت تهشم أصابعنا ، وقال :

- (استبان) ! .. استبان هيرشوفتش ..

- (جوستاف نيكولسكو) ..

- (رفعت إسماعيل) .

سأله (جوستاف) عن شيء ما بالرومانية .. فشرع الرجل يفكر ، ثم بدأ يحكى قصة مروعة طويلة وهو ينن

(★) اللآى : عملة رومانيا .

من حين لآخر ، ثم تهافت .. فأحاط (جوستاف) كتفه
بذراعه ، وقال :

- إنه فقد صديقه أول أمس .. تذكر صديقه هذا أنه لم
يغلق حظيرة الأغنام من ثم ترك زوجته وطفليه وخرج فى
الظلام .. بضع ثوان لكنها كافية .. سمعت زوجته صرخة
مرعبة ، وحين خرجت مسلحة لترى وجدت زوجها ممزقاً
على الأرض وجواره آثار أقدام ذنب ..
- والآخر ؟ .

- إنه عبيط القرية (كونستانتين) ..

- وهل حدث شيء ليلة أمس ؟

- لاشيء فيما نعلم .. كنا نحن المرشحين لنيل هذا
الشرف لو لم يستضيفنا القس ..
صحت فى حنى :

- إذن تركنا هؤلاء الجبناء ولم يفتحوا أبوابهم بفرض
ترك وجبة عشاء مضمونة للرفيق (بيلاسكو) .. ياله من
ذكاء !

عاد يتحدث مع الراعى .. ثم التفت إلى :

- يقول إن أحداً لم يفتح بابه لنا لأن المذعوب يستطيع
الكلام بصوت البشر أحيانا مقدماً أعذاراً مقنعة ، ومن رأيه
أن الاب (أنطونيسكو) اقترف جريمة فى حق نفسه وحق
أخته حين أدخلنا بيته أمس !
- هذا لطف منه !

وأفرغت فنجان القهوة فى حلقى .. ثم سألت :

- قل له من هو هذا المذعوب ؟ .. هل يعرفونه ؟

- يقول إنهم لو عرفوه لقتلوه .. لكنه أحدهم بالطبع ! .. ثم أنهم قتلوا مذعوبين كثيرين من قبل .. ماذا ؟ .. هل هم كثيرون ؟

- طبعا ! .. هناك دائما واحد .. الأسطورة تقول إن من يجرحه المذعوب يتحول لمذعوب جديد فى الشهر التالى ، كأنه وباء .. فإذا قتلت المريض الأول بقى المريض الثانى ..

- وحين تقتله يكون قد ابتلى العالم بثالث .. وهكذا .. سلسلة طويلة منذ القرون الوسطى إلى يوم الدينونة ..

- وكيف يقتلون المذعوب ؟ ..

- الأمر يقتضى إغماد نصل فضى فى قلبه بالطبع وهو فى صورته الآدمية ؛ لأنه وهو ذنب يكون فى أقوى حالاته .. يمكنه اقتلاع شجرة من جذورها بكل سهولة .. وكيف يعرفون وهو آدمى أنه هو المطلوب ؟

- عادا يتحدثان .. وأشار (أسبتان) إلى رجل يرتدى ثيابا قذرة وأصلع الرأس ، فجاء الرجل ، طلب منه شيئا ما .. فأخرج الرجل من سترته لفافة وألقاها على المائدة وهو يرمقنى فى شك ..

- يقول (أستبان) أن كل إنسان فى القرية يعرف أنه إذا هاجمه المذعوب عليه أن يحاول إحداث إصابة ما به .. فإذا نجا بعد ذلك بدأنا فى البحث عن صاحب هذه الإصابة .. ويتم إعدامه بنصل من الفضة ..
- وهذه اللقافة ؟

- هذا الرجل يدعى (إيدو) .. هاجمه مذعوب فى الشهر الماضى بين الأحرش .
وقد استطاع أن ينتزع منه مخلباً ثم فرّ بجلده .. فى الصباح وجد فى جيبه بدل المخلب شيئاً آخر .
- مثل .. بعض الشيكولاته مثلاً ؟

فتح (أستبان) اللقافة ببطء .. كان أصبغاً مجعداً ..
أصبغاً آدمياً يحيط به خاتم ذو فص أزرق ..
لم يحتج (إيدو) لجهد كبير فى البحث عمن فقد أصبعه فى القرية .. بل هو لم يحتج حتى إلى ترك بيته .. إن هذا الخاتم هو خاتم زوجته !!



٥ - إيكاترينا ..

صحت فى ذهول :

- ياللاهول !

قال (جوستاف) وهو يبلع ريقه :

- هذا هو ما يقولونه .. أنا لأصدق لكن قصتهم

محبوكة إلى حد مرعب ..

قلت فى حنى :

- وطبقاً قتل زوجته بنصل فضى ..

- طبقاً ..

- وهكذا يستطيع أى سفاح أن يقتل زوجته ويقطع

إصبعها ثم يخرج ليصبح فى القرية أنه اكتشف أنها

مذعوبة وأنه نفذ فيها قصاص السماء !

التفت (جوستاف) بشكل تلقائى إلى الرجلين لينقل لهما

وجهة نظرى ، فصرخت :

- لا يا أحمق ! .. لن نخرج أحياء من هنا !

فتوقف عن الكلام .. لكن الرجلين خفنا ما قلت أو

كادا .. اللعنة على لغة الإيماءات هذه ! .. ولمحت نظرة

غضب فى عيني (إيدو) .. وتحسست يده القدرة نصل

خنجره المعلق فى مزامه .

- أهنك على حماسك فى الترجمة ! .. حاول أن تغير الموضوع ..

وعاد (أستبان) يتحدث بصوته العميق الغليظ ، فى حين حزم (إيدو) لفافته وأعادها لجيبه وهو يرمقنى بنظرة نارية ..

قال (جوستاف) :

- منذ عام نجح (ستيفانو) فى قطع رجل مذعوب بفأسه .. فى الصباح تحولت الرجل المخلبية المشعرة إلى رجل إنسان ، وفى نفس اليوم وجدوا ابن العمدة وقد فقد ساقه فى حادث .. بالطبع نفذ أبوه الحكم بنفسه ..
- ياللبشاعة ! ..

- المذعوب الجديد (بيلاسكو) لم يستطع أحد حتى الآن أن يحدد هويته أو يحدث به إصابة ما ..
وفى هذه اللحظة وقعت عيناى على .. على أروع ما رأيت فى حياتى !

إن الكلمات لن تنجح فى التعبير عن وقع كل هذا الجمال على روحى .. أحتاج إلى لغة أرق وأكثر جمالاً .. ربما هى الموسيقى ، فتاة سوداء العينين والشعر والملابس تقف جوار (أستبان) وتنظر إلى فى رقة نظرة ثابتة أذابتنى من الخجل ..

قالت (لأستبان) شيئاً ما فرد عليها بفضاظة .. ياله

من وغد ! .. وقال (لجوستاف) شيئاً آخر وقد بدا عليه
الاشمئزاز .

قال (جوستاف) :

- هي (إيكاترينا) ابنة صاحب الحانة .. قالت إنها تريد
إخبارك بشيء لكن (أستبان) زجرها وقال لها إن النساء
يصمتن حين يتكلم الرجال ..

- الوحش !

ثم فكرت قليلاً .. فخطرت لى فكرة .

- (جوستاف) .. قل لى .. بالطبع فى هذه الحانة مكان
للمبيت .

- طبعاً .. ككل حانة قذرة فى العالم ..

- إذن قل لصاحب الحانة إننا نطمع فى المبيت عنده .

- لكن لماذا ؟ .. هناك الخان .. والكنيسة ، و ...

- لا ! .. أريد المبيت هنا ..

- هل سال لعابك عند رؤية أول فتاة فى القرية ؟ ..

إنها ليست

- لم أزعم هذا لحظة .. فقط أريد أن أكون جوارها فى

هذه الليلة .

ليلة مسخ الذنب ..

- يالها من رومانسية ! .. كم أنتم ملتهبو العواطف

يا أبناء البحر المتوسط !

ونادى صاحب الحانة وأخبره برغبتي .. فهز هذا
الأخير رأسه مرحباً .. وأشار إلى أن أصعد معه سلالم
خشبية نخرة إلى .. إلى أقفر حجرة رأيتها فى حياتى ..
منتهى البؤس والفقر والضعة .. حتى دورة المياه كانت
عبارة عن جردل صدئ جوار الفراش الذى لم يكن أفضل
حالا ..

- والآن اسمع يا رفيق (رفعت) ..
- أعرف ما ستقول .. اذهب أنت ونم فى الخان أما أنا
فباق !

- لقد وجدت مصيرك ! ..
قالها وهو يبصق على الأرض التى لم تزدها بصقته
قذارة فى الواقع .. وعلى الباب استدار ليسألنى سؤالاً
أخيراً ..

- والترجمة ؟
ثم هز رأسه مستدركاً :
- أه ! .. نسيت لغة الإيماءات والنظرات !
وأغلق الباب قبل أن أردّ عليه بما يناسب وقاحته !
جلست على الفراش وتأملت المكان فى اشمزاز .. هل
أنا مراهق إلى هذا الحد ؟ أم أنه حافز خفى جعلنى أفعل
ما فعلت ؟ ..

دق الباب فوثب قلبى فى فمى .. تخيلت يدها النحيلة

الحساسة الباردة تدق الباب لتقول شيئاً ما بالرومانية
يقتلنى قَتلاً ..

فتحت الباب ملهوفاً فوجدت صاحب الحانة البدين
يضحك لى كاشفاً عن أسنانه النخرة .. أرقى ابتسامة
استطاع أن يرسمها على وجهه .. أعوذ بالله ! .. ناولنى
منشفة ممزقة وصابونة ملوثة بالشحم ثم انحنى ليوحى
إلى أن الخدمة ممتازة .. وانصرف !

واضح تماماً أنه هو الذى سيرعانى فى هذه
الغرفة ! ..

كانت الساعة الآن الثانية ظهراً .. لم يكن هناك داع
لإضاعة اليوم كله فى حظيرة الخنازير هذه ؛ لهذا أزمعت
أن ألحق (بجوستاف) فى الحانة بالطابق السفلى كى نقرر
ما نفعله بقية اليوم ..

الباب يدق ثانية .. لاشك أن الوغد سيعطينى هذه المرة
فأزاً ميتاً لوجبة الغداء .. اتجهت إلى الباب وفتحته فرأيت
(إيكاترينا) ! ..

ولكن قولوا لى .. هل يوجد أجمل ولا أنقى من هذا ؟
- جنت .. أقول ..

هز أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية ؟ .. إنجليزية
رديلة فى الواقع لكنها مفهومة ..

- أنت .. بالذنب .. تهتم ؟

- أنا نعم ..

خيل لى - لا أدرى لماذا - أنها ستفهمنى أكثر لو تحدثت
بلغة إنجليزية ركيكة وهو رد فعل تلقائى نتخذه حتى فى
العربية حين يحدثنا أحد الأجانب بلفتنا ..

- الذنب .. هو هنا ..

- أين ؟

- فى .. الحانة .. هذه ! ..



هل أنا أحلم أم أنها تتحدث الإنجليزية؟ .. إنجليزية رديئة في الواقع
لكنها مفهومة ..

قالت وهي ترتجف كالورقة :

- أنا هاجمى من شهر .. فى المخزن يفعل .. أنا ..

أهرب .. أنا أجرح ذنب .. هو .. جرح فى رأس .

إنها قصة مشوقة ! .. إذن لقد هاجمها المذءوب

الشهر الماضى وقد استطاعت أن تفر وأن تجرحه فى

رأسه ، وهكذا حين أشرق النهار كان هناك واحد مجروح

الرأس تعرفه هى .. وهو الآن يشرب الخمر فى الطابق

السفلى من الحانة ! ..

- ومن هو ؟ ..

- هو .. لا أعرف .. يلبس .

- غطاء رأس ؟

- نعم .. نعم .. غطاء رأس ، (استبان) يلبس ..

(ميلو إنستادت) يلبس .. (كوثر يلبس) .. (جورج) ..

(ستيفانو) .. رأس ..

- هذا طبيعى يا صغيرتى ، فى هذا الطقس حتى

الشیطان نفسه يلبس غطاء رأس ..

- لا .. لا .. هو .. هم أبداً يخلعون لا ..

هل فهمت هذا الجزء ؟ .. إنها نقطة هامة .. من

الطبيعى أن الرعاة يشربون ويسكرون ويتشاجرون ..

لكن هناك خمسة لم يحدث طيلة الشهر الماضى تحت أية ظروف أن استطاعت رؤية رؤوسهم عارية ، هذا التشبث المريب بتغطية الرأس أثار شكوكها ..

فكرة ذكية .. لكن هناك حقيقة لا يجب تناسيها ألا وهى أن الفتاة مخبولة .. مخبولة تمامًا ! .. إذا تفاضينا عن جمالها وضغطها ورجفتها ..

- تساعدنى هل أنت ؟

- نعم يا صغيرتى .. أساعدك أنا سوف ! .. لكن كيف أتخلى عن قناعاتى وثقتى بالعلم لأضع ثقتى فى قصتك الملفقة عن جرح الرأس .. القصة التى ستؤدى إلى ذبح أول مسكين يتصادف أن عارضة الشباك ضربت رأسه أو قذفه طفل شقى بقالب طوب ؟

ربت على كتفها مطمئنا .. وأوصلتها للباب فخرجت وهى ترسم علامة الصليب ..

نزلت إلى الحانة .. الطابق السفلى فوجدت (جوستاف) جالساً على مائدة مع (استبان) وقد صار ثملاً تمامًا ، جلست على نفس المائدة ومضيت أتأمل وجوه الرجال الخشنة وهم يصخبون ويمزحون مزاحاً فظلاً سمجاً كله لكلمات وشتائم ، أحدهم هو المذعوب كما قالت هى .. ولكن من هو ؟ .. أى أسماء ذكرتها ؟ .. إن هذه الأسماء

لا تعلق بالذاكرة .. (جورج) قالت .. (وستيفانو) ..
ثم .. ثم .. (كنثار) .. كلا .. (كوثر) .. ثم (ميلو) .. بقى
واحد ، (إستبان) .. بالطبع هو (إستبان) الجالس على
هذه المائدة معنا .. تأملته وتأملت وجهه المشعر وهو
يتحدث مع جوستاف ، مفهوم تمامًا أن تعتقد الفتاة أن هذا
الرجل مذبذب .. فهو لا يحتاج لأنياب ومخالب كي يغدو
مرعباً .

ولكن كيف ولدت أسطورة المذبذب ؟ .. إن نفس
النغمة تتكرر بشكل أو بآخر فى رائعة (ر . ل .
ستيفنس) (الدكتور جيكل والمستر هايد) ، الرجل
الطيب الشريف الذى يتحول فى ظروف معينة إلى شيطان
مفترس .. هل هى فلسفة إنسانية ما تتحدث عن أن لكل
منا جانبيين : أبيض وأسود ؟ !

هل هى محاولة ساذجة لتفسير حالات الانفصام التى
يتحول فيها الشخص إلى نقيضه دون سبب واضح ؟ ! ..
على كل حال الفكرة مفزعة ولا أنكر هذا لحظة .. وأعتقد
أن تحول (جوستاف) أمام عيني إلى منسخ ذئب لكفيل
بجعلى آخر ميتاً دون أن أنطق بحرف ! ..

الساعة الآن الخامسة مساءً ..

اقتربت من (جوستاف) - ورائحة الخمر من فمه تكاد
تقتلنى - وقلت له :

- مل هناك طريقة ما تجعل هؤلاء الرجال يخلعون
أغطية رءوسهم ؟

- ماذا ؟ !

- أريد رؤية رءوسهم عارية ! ..

- هل جئنت ؟ .. أولاً قررت فجأة المبيت هنا .. والآن

تريد رؤية رءوس الرعاة .. إن الصقيع ...

- لا .. لا .. لم يتجمد مخي ، أرجوك افعل شيئاً ! ..

- دعنى أفكر ..

- يمكنك مثلاً أن تدعوهم لشرب نخب ما وأن يخلعوا

قبعاتهم فى صحة هذا النخب .

- هل تمزح ؟ ! .. لسنا فى ناد بلندن .. إن هؤلاء

السادة أبعد ما يكونون عن الرقى ..

- إذن فلنحضر أيقونة أو شيئاً مقدساً لنجبرهم على

خلع أغطية رءوسهم تحية له ..

- إنهم لا يعرفون رءوسهم فى الكنيسة نفسها ..

- إذن ..

وهنا نهض (جوستاف) مترنخاً حاملاً الزجاجاة فى

يده .. وقال :

- هناك طريقة أسهل وأضمن ..

وصاح بالرومانية بشيء ما .. فتعالت صيحات

الدهشة .. ورأيت كل العيون تنظر إلىّ فى كراهية أو
احتقار أو شك ! .. وصاح أحدهم مستكبرا ..

- ماذا قلت لهم أيها المعتوه ؟

- قلت لهم ما تريد دون لفّ أو دوران .. قلت لهم إن
السيد القادم من مصر يرغب - بعد إذنكم - فى مشاهدة
رعوسكم عارية !!

- يا لك من أحمق !

لقد كان ثملاً .. ووضعنى فى موقف ليس محرّجا فقط
بل هو خطر على حياتى أيضا .. كلهم ينظرون إلىّ وقد
كوروا قبضاتهم .. هناك من اعتبرها إهانة وهناك من
اعتبرها حماقة وهناك من اعتبرها نزوة ، واحد فقط
- بلا شك - أدرك أننى أعرف كل شيء !

اقترب (استبان) منى وهو يرمقنى بنظرة نارية .. ثم
ضرب المائدة بقبضته ، وشرع يصرخ بكلام كثير أدركت
بصعوبة أنه موجه لى ..

قال (جوستاف) :

- إنه يقول إنك رقيق وسمج وابن ...

- أنا أفهم هذا الجزء ! ..

قلتها وأنا أرتجف ..

- ويقول إنه يطلب تفسيراً ..

ابتلعت ريقى .. وتحاشيت نظرات الرجال النارية ،
وقلت :

- قل له أن يجلس لأشرح له ، بشرط أن يكون هذا دون
أن يسمعنا أحد ..

نقل له (جوستاف) معنى كلماتي ، فتوقف لحظة
يرمقنا في شك وكراهية .. ثم حزم أمره .. فالتفت إلى
الرجال وأمرهم بشيء ثم إنه سحب كرسيه وجلس على
المائدة أمامي ..

وفي عبارات سريعة نقلت له ما قالت له لى الفتاة في
غرفتي .. وقلت له إننى أشك فيه .. وإننى أطالب بكشف
الأوراق قبل أن يحل الليل ..

قطب جبينه ورشف جرعة من زجاجة (جوستاف) ثم
مسح شاربيه بظهر يده المشعرة .. ومضى يحدق في
وجهي فترة ثم نهض .. وصرخ بأعلى صوته في
الرجال ..

- (ستيفانو) !!

فأتى له شاب على شيء من الوسامة يربط رأسه بمنديل
قذر ..

- (كوثر) !!

نهض رجل بدين قصير القامة من مقعده وجاء
لمائدتنا ..

- (ميلو إنستادت) !

فأفاق (ميلو) من إغفائه القصيرة على مائدة البار وجاءنا وهو يصلح غطاء رأسه المصنوع من فراء الثعالب ..

- (جورج) !!

فجاء شاب ملتج يضع على رأسه غطاء من الجلود ، التفت (إستبان) إلى باقى الرجال وقال شيئاً فساد التوتر .. ونهض أحدهم لكى يفتح الباب .. باب الحانة .. وبدأ الرجال الذين ناداهم يشمرون عن أزرعتهم .. فقد فهموا أنه ناداهم لكى يفتكوا به ! وهو أمر وارد بالنسبة لى لأن كلامه الكثير بالرومانية قد يكون معناه : أن هذا السيد يقول إنكم مذعوبون فخذوا بثأركم منه !

التفت (إستبان) إلى وقال كلاماً ما .. ثم أشار إلى الرجال ليجلسوا حول المائدة .. ثم شرع يتكلم بصوته العميق ضاعطاً على كل حرف ..

قال (جوستاف) مترجماً :

- إنه يحكى ما قلته أنت .. ويقول لهم يا رفاق .. إن المذعوب هو أحد الخمسة الجالسين على هذه المائدة .. إنه يدعوهم لكشف رءوسهم ويقسم إنه سيفجر رأس من لا يفعل برصاص بندقية ..

وفى ببطء واستسلام بدأ الرجال يحترقون رءوسهم .. الصمت يسود المكان .. والخلوق جافة تترقب ما سيحدث .

تعرّت أربعة رعوس .. ثم فى حركات درامية مذ
(استبان) يده لغطاء رأسه وانتزعه ووضعـه على المائدة
أمامه .. لو كانت الفتاة كاذبة - فى موضوع الجرح -
فسأكون فى موقف عسير ..

كانت كل الرعوس سليمة ..

رأسان فقط هما رأسا (ستيفانو) و (مليوانستادت)
كان بهما جرح .. جرح قطعى طويل مغطى بخصلات
الشعر ، صاح الرجال فى إثارة .. فى حين أخذ الرجلان
يصيحان فى هلع بكلمات ما .. طبعا كل منهما يشرح لهم
أين وكيف أصيب بهذا الجرح .

عاد (استبان) يتكلم .. إن هذا الرجل قوى الشخصية
وله نفوذ هائل فى قومه ، صيحات الموافقة تتعالى فى
حين ازداد الرجلان تعاسة .. نظرت إلى (جوستاف)
- الذى جرفته الأحداث فلم يعد يترجم - متسائلا ، فقال :

- يقول (استبان) إن الموقف صار أكثر وضوحا ..
وإننا سنجلس كلنا هنا طيلة الليل حتى يتحول أحد الرجلين
إلى مذعوب .. وأن السماء هى التى ستحسم القرار ..
- ولكن كيف يقتل المذعوب عندئذ ؟

- أول علامات التحول هى احمرار حدقتى العينين ..
وهو سيراقبهما كالصقر بانتظار أول بادرة من أحدهما
عندئذ سيذبـحه بسكين الفضة قبل أن يكتمل تحوله !

★ ★ ★

٧ - المقابلة ..

أخذت الدقائق تمضي بطيئة مملة ونحن جالسون في الحانة ملتفون حول (ستيفانو) (ومليوانستادت) وهما عاريا الرأس باكيان يرتجفان ..
الدقائق تمضي .. بطيئة ..
فجأة صاح أحدهم بشيء ما .. فالتفت الجميع إلى (ميلو) ..

- يقولون إن عينيه احمرّت !

بالفعل كانت عيناه محتقنتين بالدم .. لكن الاحمرار كان في الملتحمة .. بياض العينين .. وهذا - بالطبع - نتيجة لكثرة البكاء مع كل الحرارة والدخان والجو الخانق المحيط به ..

- لكن هذه ليست حدقته .. إنها الملتحمة .

- وهل تتوقع من هؤلاء الرعاة معرفة الفارق التشريحي بين الحدقة والملتحمة ؟ ...
إنها عين حمراء .. وهذا يكفي ! ..

تصايح الرعاة في حماسة وقد صرعتهم نشوة الموقف في حين تجمّد (ميلو) في مقعده وقد بدا عليه هلع لا يوصف .. كالفأر الذي وقع في المصيدة ويرى ألا داعي لإضاعة لحظاته الأخيرة في المقاومة ..

شعرت بالغثيان .. وبأننى على وشك إفراغ معدتى ،
فتحاملت على نفسى متجهاً للباب .. نادانى (جوستاف) :
.. ماذا هنالك يا رفيق ؟

- قىء ! ..

- والمذعوب ؟

- أستم تحتجزونه هنا ؟ ..

وفتحت الباب الخشبى .. وفى الخارج .. كان الجليد
وهواء الليل البارد .. شعرت أننى أحسن حالاً ، لكن فى
أعماقى كان شعور من الندم على كل هذا الذى تسببت
فيه .. ربما أدت حماقتى إلى مذبحة .. لكن كان هذا هو
الحل الوحيد الذى وجدته لإنقاذ حياتى أنا من المأزق الذى
أدت به إلى حماقة (جوستاف) .. وطبعاً كانت حماقة
(إيكاترينا) هى التى بدأت سلسلة الحماقات هذه التى
ستؤدى إلى ذبح (ميلو) أمام عينى ..

كان صخب الرجال يتعالى داخل الحانة خلف النافذة ..
وكنت أدرك أن على أن أجد مخرجاً ما .. ولكن
ما هو ؟ ! .. لا أحب أن أرى إنساناً يموت لأنه أصيب
بالتهاب فى الملتحمة .. ولكن كيف أمنع ذلك ؟
وهنا سمعت صوت زئير وحشى .. رفعت رأسى فرأيتنى
أمام المذعوب !!



وهنا سمعت صوت زئير وحشى .. رفعت رأسى فرأيتنى أمام المذءوب !!

هل سقط أحدكم فى قبضة مذبذب من قبل ؟ ! .. إن
الذين عاشوا هذه التجربة يمكنهم تجاوز هذا الجزء .. أما
سعداء الحظ الذين لم يحدث لهم هذا فلهم أقول إنها تجربة
شنيعة ! .. أن ترى أمامك كائنًا عملاقًا يرتدى ثيابًا بشرية
لكن وجهه وجه ذئب ضخم .. ويداه مخالب ذئب ..
وصوته صوت ذئب .. ويقف على قدميه ، عيناه حمراوان
كالدّم .. وفمه مفتوح يكشف عن أنياب بيضاء لامعة ..
وصدره يموج بصوت حشرة جهنمية ، وهذا الكائن
يهاجمك أنت !!

ماذا تفعل ؟ ! .. ستصرخ .. لكن أليست هذه صرخات
نهاية أكثر منها صرخات استغاثة ؟ .. حاول أن تهرب
فوق الجليد المنزلق لكنه حتمًا أسرع منك ، حاول أن تركله
أو تضربه لكنه صلب كجدار ..

ستسقط على الأرض متكورًا وهو يجثم فوقك
كالكاوبوس ومخالبه تمزق لحم وجهك .. وبقوة يائسة
توجه له لكمة قوية فى عينه الحمراء .. فيصرخ ..
وينهض من فوقك .. وفى اللحظة التالية يحيط بك الرعاة
وقد خرجوا من الحانة على ضوضاء المعركة...

... ويفرّ هذا الوحش بين الثلوج ..

هذا هو بالضبط ما حدث لى ! ..

وفى داخل الحانة أجلسونى ومسحوا وجهى بخرقة مبتلة .. وقدموا لى شيئا فى قدح شربته قبل أن أسأل ما هو ، أحاط (جوستاف) كتفى فى لهفة .. وسألنى :

- ماذا حدث ؟

- هو ! ..

- (بيلاسكو) ؟

- نعم ..

- يا للسماء ! .. إذن هو ليس (ميلو) ؟ !

- وهل شككت أنت فى ذلك ؟ !

- إذن من هو ؟ ! ..

- لا أدرى .. لكنى لكمته لكمة رهيبة كادت تنفقا عينه

اليسرى ..

استدار (جوستاف) للرعاة وشرع ينقل لهم كلامى ، بدت معالم الخلاص على وجهى الشابين المتهمين .. فى حين أخذ الكل يثرثرون فى حماسة .. غذا بالطبع سيكون يوما وبيلا على كل من تلقى طوبة أو ضربة على عينه اليسرى .. لكنهم ما زالوا يرمقوننى بنظرات الشك والتحفز ، (استبان) يشير إلى ويقول شيئا متشككا .. (جوستاف) يصرخ فيه بحماسة نافيا ذلك الشيء .. ماذا حدث ؟

- ماذا هنالك يا (جوستاف) ؟

- لا شيء .. يرون التخلص منك الآن ! ..

- ماذا ؟

- قبل أن تقتل أطفالهم ! ؟

- أنا .. ؟ .. كيف ؟

- فى الشهر القادم .. حين تتحول إلى مذعوب ! ..

- مذعوب ؟ .. كيف ؟

نظر إلى نظرة ذات معنى .. وهمس :

- إنه جرحك فى وجهك عدة جروح .. ألم تلاحظ ذلك ؟ !

★ ★ ★

جلست فى مكانى أصغى للمناقشات والصراخ وأنا أفكر .. من الغريب أننى بالأمس فى نفس الوقت لم أكن أعرف شيئاً عن قصة المذعوب ، أليس غريباً أننى قد انغمست - خلال أربع وعشرين ساعة - فى المشكلة إلى حد أننى أنا نفسى فى طريقى لأكون مذعوباً ! .. يا له من تقدم !!

كنت أعرف تمامًا أن القصة لا حظ لها من الصحة .. وأن هذا الذى واجهنى فى الخارج هو شئ له تفسير علمى ، لكن المشكلة العاجلة الآن كانت هى مواجهة هؤلاء الحمقى المسعورين الذين لا يريدون سوى الدم .. بصعوبة - رغم سكره البين - استطاع (جوستاف) أن ينقذ حياتى بأن أقنع الرعاة أن يترثوا .. وأن يرفقوا بى ، مع التأكيد على أن الشهر القادم لن يشهدنى فى القرية

ولا فى رومانيا كلها .. بل سأكون فى مصر حيث أنكب
وادی النيل السعيد بأسطورة الرجل الذئب .. أى أن
رومانيا ستصدر عدوى المذعوب إلى إفريقيا كلها !!
تكفى هذه الإثارة لليلة واحدة ..

وفى تودة نهضت ، وفى خطوات ثابتة صعدت السلالم
فلم يعترض طريقى أحد .. اتجهت لغرفتى القذرة ..
وخلعت حذائى وارتيمت فوق الفراش وأنا أشعر به يعلو
ويهبط .. يا له من يوم ! .. يا له من يوم ! ..

الباب يفتح فى صرير بطيء .. فليكن هذا هو المذعوب
أو الشيطان نفسه .. فلن أستطع النهوض ولا المقاومة ..
إذا كان يريد افتراسى فليفعل دون أن يوقظنى .. هذا صوت
(إيكاترينا) الناعم ..

- هل شيئاً تريد .. سيد ؟

قلت وعيناي مغمضتان :

- لا يا ملاكى .. لا .. ش .. شىء .

أغلقت الباب وخرجت .. ثم فتحته وأدخلت رأسها
الأسود الصغير :

- شكراً .. من أجلى .. سيد ...

وخرجت ..

الفراش يموج بى .. لكم أنا متعب ..

★ ★ ★

نور النهار يدخل من الشباك ، أفتح عينى وأحرّك
أطرافى شاعرا بالقوة التى منحنى إياها نوم الليلة

الهادى .. لقد غسلنى هذا النوم من الداخل .. وإننى الآن
لصافى الذهن إلى حد مفزع ..

نهضت إلى حوض الغسيل القذر .. وغسلت وجهى ،
واختلست نظرة إلى المرأة المكسورة ، كان هناك جرحان
قطعيان طويلان على خدى الأيسر ، ولكنى طبيب
ولا يمكن خداعى بسهولة .. من قال إن هذين الجرحين
هما آثار مخالب ذئب ؟ ..

انفتح الباب خلفى .. ورأيت الظل المحبب الذى فتننى
لـ (ايكاترينا) تحمل فى يدها صينية عليها أشياء ما ،
المفروض أنها تؤكل ، ثم وضعتها على المائدة خلفى
والتفتت إلى دون أن ترفع وجهها ..
- هذا .. إفطارك هو .. سيد ..

كان شعرها الأسود منسدلاً على جبينها .. لهذا نهضت
واقتربت منها وبأناملى داعبت ذقنها الصغيرة ، هتفت فى
حرج باسم .

- أرجوك .. لا .. سيد .. أنا لست ...
أزحت الخصلة المنسدلة على جبينها .. هذا هو ما كنت
أبحث عنه .. والآن يا ملاكى أنت فى مأزق مرعب ، وإنك
لساذجة إذا ظننت أن انسداد شعرك يمكن أن ينقذ موقفك .
قلت فى إنجليزية رصينة وأنا أضغط على كل حرف :
- (ايكاترينا) ؟ ..

- ؟

- ما سبب هذه الكدمة حول عينك اليسرى !!؟

★ ★ ★

٨ .. مطاردة الذئب ..

صاحت فى ارتباك وهى تعيد الشعر لتغطى عيناها :
- هذا .. فى باب .. ضربته .. هو فى باب ! ..
أمسكت معصمها فى حزم ونزعت خصلة الشعر ..
- لا يا صغيرتى .. إننى أنا الذى وجهت لك هذه الضربة
أمس .. حين كنت تلعبين دور المذعوب ! .. وتكفل الظلام
والرعب بجعلى أتخيل قوة غير عادية لك ..
- أنا .. لا أفهم .. سيد ..
- ثم الجروح فى وجهى .. لا يمكن أن تحدثها مخالف
أى حيوان .. بل هى آثار أداة قاطعة رفيعة كنت تمسكيتها
فى قبضتك لتحدث تأثيراً ..
الدموع تملأ عيناها .. وكيانها كله يرتجف .. و ...
وهنا انفتح الباب ورأيت أباه صاحب الحانة يدخل ،
نظرة متشككة إلى الموقف برمته ألقاها علينا .. ثم تصلبت
عيناها على وجه (ايكاترينا) .. وبالذات على .. عيناها
اليسرى ، ثم فجأة بدت عليه علامات الفهم ! .. أشار إليها
وهتف شيئاً ما .. ثم إنه اندفع خارج الحجرة وهو يردد
نفس العبارة مراراً .. لا يحتاج المرء لكثير ذكاء كي
يعرف أنه يقول : المذعوب هو ابنتى .. المذعوب هو
ابنتى !!

التفت ، إليها وصحت :

- أرجوك ! .. لا وقت للتفسير ! .. اهربى الآن ! ..
- لكن ..

- اهربى ! .. إن هؤلاء الأوغاد متعطشون للدماء ،
وستكون أسعد لحظة في حياة أبيك هي عندما تتاح له
الفرصة للتضحية بك لإثبات ولائه للجماعة ! ..
- لكن ...

- لن يفهموا شيئاً عن مرضك النفسى .. وسيلقون بك
أرضاً ويقتلونك بسكين من الفضة .
- لكن ..

- هيا .. اذهبى إلى الأب (أنطونيسكو) فى الكنيسة
واطلبى اللجوء .. واعترفى له بكل شيء .. أما أنا
فسأحاول أن أنقذ الموقف ، سأشرح لهم .

وهنا تعالى صوت الرجال فى الطابق السفلى ..
صيحات الغضب والثورة ، إنهم قادمون فقد ناداهم
المخبول ، فى سرعة ودون تردد أمسكت يدى (ايكاترينا)
وفتحت الشباك - برغم الثلوج المحيطة به - وفى رفق
ساعدها على الانزلاق على طبقة الجليد العالية تحت
النافذة .. ثم أشرت إليها أن تجرى .. نظرت إلى لحظة فى
تردد .. ثم أطلقت ساقىها للريح ..

ودخل الرجال الحجرة وقد بدا الشر فى عيونهم ، وقالوا ما معناه « أين هى » بالرومانية ؟ فأشرت للنافذة ، عندئذ أسرعوا بالنزول على السلام لملاحقتها ولم يفت (استبان) - بالطبع - أن يفتش الحجرة عدة مرات قبل أن يصدق إشارتى ، ثم نظر إلى نظرة شك .. ولحق بالرجال .

وجدت نفسى وحيدا فى الغرفة وربما فى الحانة كلها .. فتحت الباب .. وتفقدت المكان حولى .. كانت هناك حجرتان فى نفس الطابق كلتاهما مغلقة الباب ، سرت فى توده إلى الباب الأول وعالجت مقبض الباب الصدى .. فوجدتنى فى غرفة صغيرة نظيفة نسبيا .. على الفراش قطعة من نسيج الكانافاه لم تتم .. وعلى المائدة فى وسط الغرفة زهرية ورد رقيقة بها زهور ذابلة لا أعرف اسمها ، كل شئ يدل على أنها غرفة أنثى .. (إيكاترينا) على وجه الخصوص .. ثيابها ملقاة فى إهمال على كرسى خشبى جوار الفراش .. ثم ديوان شعر مكتوب بحروف سلافية لا تعرف حتى الوضع الصحيح للإمساك به .

كان تصرفى وقحا وطفيليا لكنى كنت أريد أن أعرف .. لهذا مددت يدى المرتجفة الباردة إلى حشية الفراش وقلبتها .

كان هناك كيس قماش كبير مربوط بعناية ، فتحته

ومددت يدي فيه فشعرت بشيء كالفرء وأشياء كقطع
بلاستك مدببة ، قلبت الكيس على الفراش فوجدت
ما توقعته ..

هناك - على الفراش - ارتمى رأس المذعوب الذى
هاجمنى أمس .. قناع مصنوع باتقان غير عادى يكسوه
الفرء .. والعينان حمراوان مضيئتان لكنهما تسمحان
لابس القناع أن يرى من خلفهما ، وكان الفك السفلى
الملبىء بالأنياب متحركا ، تحفة فنية حقيقية ..

وجوار القناع كان قفازان من الفرء مزودان
بالمخالب ، ثم شيء يشبه حزام النجاة فى السفن
والطائرات .. عبارة عن أداة لتضخيم حجم الصدر
والإكتاف حين تلبس تحت الثياب ..

ثم - والأهم - أداة قاطعة دقيقة ، ومجموعة سكاكين
مختلفة الأحجام يمكنها تمزيق فيل

وأخيرا صورة شمسية صغيرة لشاب وسيم حليق
الوجه يتسم فى بلاهة .

الآن أفهم كل شيء .. (إيكاترينا) هى (بيلاسكو)
المذعوب الذى دوّخ القرية وأفزع رجالها حتى الموت .
هى أعدت هذه الثياب المتقنة لنفسها .. وشرعت تخرج
فى كل ليلة مقمرة بحثا عن التعس الذى يوقعه حظه العاثر



هناك - على الفراش - ارتقى رأس المذعوب الذى هاجنى أمس .. قناع
مصنوع بإتقان .

فى قبضتها ، ومع كل الرعب والمفاجأة لم يكن أى واحد
على استعداد للدفاع عن نفسه .. لم يحاول أى واحد على
الإطلاق أن يفعل .. وفى الظلام كانت تمزقه بالسكاكين
التي تخفيها معها .. ثم تفر وتعود لدورها الأسمى .. ابنة
صاحب الحانة الرقيقة ، ومن حين لآخر تخبر المغفلين
أمثالى بقصة المذعوب مجروح الرأس .
ولكن لماذا تفعل ذلك ؟ .. لماذا ؟ ..

★ ★ ★

- د . (رفعت) !

هذا صوت (جوستاف) ينادينى .. لقد استيقظ الآن فقط
من نومه بعد إجهاد السكر ليلة أمس ، وقد بحث عنى فى
الحانة فلم يجد لى أثرا ولم يجد أحدا يسأله .
.. هذا أنا يا (جوستاف) .. أنا هنا ..
صعد إلى فى الطابق العلوى حيث وقفت فى غرفة
(إيكاترينا) .. وعلى الفراش وجد ثياب المذعوب ، فصاح
فى غباء :

- هل .. هل قتلته ؟ وسلخته أيضا ؟

- يا لك من معتوه !

وفى كلمات سريعة شرحت له كل شيء ..

- والعمل ؟

- أول شيء .. سنذهب للكنيسة لنواجهها بما نعرف ..

- ثم ؟

- ثم نتدبر إخفاء الأمر أو إعلانه حسب ما يكون تفسيرها .. قد تكون قاتلة تستحق الإعدام وقد تكون مريضة انفصام تستحق العلاج ، لكن مهما كان لن نترك الأمر للعدالة الجماعية فى هذه القرية المنكودة .. يجب الذهاب بها إلى (بوخارست) بأى ثمن .

★ ★ ★

فى الكنيسة قابلنا الأب (أنطونيسكو) .. سألته همسًا عن الفتاة فقال لى إنها لم تأت .. أقسمت له إننا لن نؤذيها .. فاحتد غضبًا مؤكدًا أنه لا يكذب ..

إذن أين ذهبت هذه التهمة ؟ .. وهل نجح الرعاية فى الإمساك بها قبل أن أتمكن من .. علينا الآن أن نبحث عنها .

وهنا تذكرت شيئًا فأخرجت صورة الشاب الوسيم التى كانت فى حجرتها .. وقربتها من نظارة القس .

- هل تعرف هذا الشاب يا أبت ؟

لم يعط القس فرصة الترجمة (لجوستاف) لأنه قرب أنفه من الصورة .. وهتف :

- آه ! .. (ميخائيلسكو) !

ثم قال بضع كلمات أخرى .. ورسم علامة الصليب ..
قال (جوستاف) :

- يقول إن اسمه (ميخائيلسكو) ..

- هذا واضح ! .. أنا لست حمازًا على كل حال ..

- وأنه ابن الصعدة .. كان مذعوبًا وهاجم (ستيفانو) ،

لكن (ستيفانو) أطاح بساقه بالفأس ، وفي الصباح بدت
قصة عن ظروف بتر رجله ملفقة وسخيفة لهذا أدركوا أنه
المذعوب .. وقتلوه ! ..

- وبالطبع هذا الفتى كان يحب (إيكاترينا) ؟

دارت محادثة سريعة بينهما أدركت من خلالها أن
الإجابة نعم .. إذن هذه هي القصة .. قصة حب عنيفة بين
الشابين مرهفي الحس .. ثم تفقد الفتاة حبيبها نتيجة
خرافة أو قصة مغرضة صاحبها (ستيفانو) ، لهذا تصمم
أن تنتقم وأن تحيل ليالهم المقمرة إلى جحيم .. كأنها
قالت : حسن .. أريدتم مذعوبًا فلكم هذا !! ، وشرعت في
كل شهر تقتل أحد الذين كانوا مسئولين عن موت حبيبها ،
ثم اختارت ميتة بشعة لـ (ستيفانو) عن طريقى أنا .

كانت تعرف أن رأسه مجروح لهذا أدركت أن اختيار
ليلة أمس سيؤدى لقتله كما مات حبيبها ، ولما سارت
الرياح لاكما تشتت هي .. وكاد (ميلو) يفقد حياته ،
ارتدت ثياب المذعوب وانتظرت كي تهاجم أول من يغادر
الحانة .. وكنت أنا بلا فخر ! ..

- ما التفسير الذى قدمه (ميخائيلسكو) لفقد ساقه ؟
- قال لهم إنه فقد وعيه ليلاً فى أثناء سيره فى
الغابة .. وحين أفاق لم يجد ساقه .. ووجد الجرح مربوطاً
ببراعة كى لا ينزف ، من ثم جرّ نفسه إلى داره .. وارتقى
فوق فراشه مغشياً عليه حتى أيقظوه صباحاً ليتهموه بأنه
مذعوب !

قصة غريبة صعبة التصديق ، لكن إذا تخيلنا - بشيء
من التماهى - أن (ستيفانو) كان يحب (إيكاترينا) هو
أيضاً .. يمكننا أن نكمل القصة .. كان يستطيع أن يضرب
الفتى فى أثناء سيره فى الغابة ، ويقطع ساقه بالفأس ..
ويضمدها .. ثم يجرى للقرية ليعلن قصته المزيفة عن
المذعوب ، وبهذا يتخلص من منافسه بطريقة نظيفة
وبحكم إعدام جماعى .

لكن (إيكاترينا) كانت هناك ، وقد قرّرت أن تكافئ
القرية بمذعوب حقيقى !

★ ★ ★

آخر سؤال وجهته للقس قبل أن ننهى حديثنا كان :
- كيف بدأت قصة المذعوب فى القرية ؟
نقل له (جوستاف) سؤالى ، فhez رأسه فى إرهاق ..
وابتسم وشرع يتكلم .. قال (جوستاف) :

- يقول إن هذا حدث من قرون ، منذ عهود القرون الوسطى ، عائلة (سزاروزان) الإقطاعية كانت تحكم البلاد بالحديد والنار .. لكن اللعنة أصابت نسلهم .. كان أطفالهم يولدون مذهبين .. وكان المرض يبدأ بأسوداد لون البول ومغص فى بطونهم .. ثم يتحولون لمسوخ ذئاب .

بول أسود ومغص ؟ .. مسوخ ذئاب ؟ .. إن هذا يذكرنى بشيء ما .. نعم .. هو كذا .. صحت بـ (جوستاف) :
- إن القصة كانت هكذا .. لكن الحقيقة أنهم كانوا مرضى بمرض له أسباب علمية وعلاج .. هذا المرض أسماه القدامى (مرض الرجل الذئب) .. اما اسمه العلمى فهو (بورفيريا) .

هذا المرض ناجم عن اختلال تمثيل الحديد فى الجسم .. من ثم تحدث أعراض عديدة منها المغص والبول الأسود ، وفى حالات نادرة تستطيل الأظفار وتبرز الأنياب ويتجدد الجلد ، تصير الحواجب كثيفة والشفاه مشققة والعينان حمراوين .. ثم يتجنب المريض الشمس لأنه لا يتحملها (★) !! ..

- باختصار يتحول إلى

(★) حقيقة .

- يتحول إلى ذنب بشرى ! .. وبمرور الوقت تولد
الأسطورة .. وتعيش فى النفوس ، ويستغلها بعضهم لقتل
زوجته أو منافسه فى الحب ، أبداً لم يوجد على الارض
رجال ذئاب .

هتف (جوستاف) فى جزع :

- رانع ! .. ولكن هلا اختصرت هذه المحاضرة العلمية
إلى أن ننقذ الفتاة ؟

يا الله ! .. لقد نسيتهما تماماً .. غمرتني نشوة أن أجد
تفسيراً هذه المرة لهذا اللغز من ألغاز التاريخ ، وللحظة
ظننت أنني خليط من (شيرلوك هولمز) و (لوى
باستير) .. وفاتنتي تماماً أن الوقت غير مناسب لهذا ..
- فلنسرع ! .. واشكر لنا الأب (أنطونيسكو)
بشدة ! ..

★ ★ ★

عند المقابر وجدناهم .. الدماء تلتطخ الجليد الأبيض ..
وهم جميعاً واقفون فى صمت وقد نكسوا رءوسهم .
على الثلوج كانت ممددة وشعرها الأسود الجميل ينتشر
حولها ملطخاً بالدم والثلج .. وفى صدرها كان نصل طويل
غانصاً إلى نصفه .. نصل من الفضة .. فى حين وقف
قاتلوا حولها يلهثون فى إعياء .
لقد تأخرنا كثيراً .. كثيراً جداً .



على الثلوج كانت ممددة وشعرها الأسود الجميل ينتشر حولها ملطخًا
بالدم والثلج ..

وعلى قدميها ارتدى أحدهم يبكي ويغسلها بدموعه ،
كان عارى الرأس وفى فروة رأسه جرح قطعى طويل ..
لقد فقد (ستيفانو) حبيبته الرقيقة أمام عينيه وهو الذى
فعل كل الفظائع التى فعلها لتكون له وحده .. لكنى لا أشعر
بأى نوع من الرثاء له .

أخذ (جوستاف) ينشج فى صمت ، وسالت دمعتان
دافنتان على خدى سرعان ماتحولتا إلى ندفتين من الثلج
جوار فمى .

ودون كلمة أخرى تأبط (جوستاف) ذراعى وأخذنى
بعيداً عن هذا المشهد المروع .

لقد انتهت أسطورة الرجل الذنب .. انتهت للأبد ، لكنى
لست فخوراً على الإطلاق بدورى فيها .. لست فخوراً
على الإطلاق .

والشمس تغرب فوق المقابر فى سكون .



٩ - الخاتمة ..

فى مطار (بوخارست) صافحت (جوستاف) وشكرته
على كل شىء ، ثم إننى طلبت منه أن يكتب لى باستمرار .
تحسس الجرح الذى فى وجهى وهتف باسفا :
- إذا تحولت إلى مذبذب يوم الخميس القادم لا تنس
أن تكتب لى ! ..

لم أبتسم .. وقلت فى كآبة :
- أرجوك ألا تعود لهذا فى خطاباتك ! ..
- أوه ! .. لننس الماضى ..
أشعلت سيجارة .. وتأملت المسافرين المتجهين لصالة
الجوازات .. وسألت :
- هل نشرت القصة ؟
- لا ..

- ولمه ؟ .. إنها مثيرة برغم كل شىء ..
- المكتب الثقافى فى الحزب ..
وتلفت حوله فى حذر ليتأكد أن أحدا لا يسمعه .. ثم
أردف :

- قالوا إن قصتى خيالية .. و .. رجعية .. ولا تخدم
أيديولوجية الحزب .. ثم إنها تنهم رعاة الجنوب
بالتخلف !!

- ربما كان هذا أفضل ..
وصافحته للمرة الأخيرة .. واتجهت لصالة
الجوازات ، نادانى فى لهفة صائحا :
- حاول أن تعود لرومانيا قريباً .. تنتظرك أشياء رائعة
فى قلعة الدكتور (فرانكنشتاين) !
- لا مفر من ذلك ! .. لكنى سأتعلم اللغة الرومانية
أولاً ..

- وداعاً .. يا رفيق ، تحياتى لأبى الهول !
- وداعاً ! ..
وأقلعت الطائرة ..
كنت أظن أننى عائد إلى عالمى الهادئ الناعم ، ولم أكن
أعرف أننى سأواجه كابوساً جديداً فى قرىتى الصغيرة و
.... لكن هذه قصة أخرى ..

د . رفعت إسماعيل - القاهرة ١٩٩٢



[تمت بحمد الله]



صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|-----------------------|----------------------|-----------------------|
| ٦٣ - الجاسوس | ٣٢ - خبط الذهب | ١ - الاختفاء الغامض |
| ٦٤ - تحت الصفر | ٣٣ - القوة (أ) | ٢ - سباق الموت |
| ٦٥ - الجليد المشتعل | ٣٤ - ماراد الغضب | ٣ - قناع الخطر |
| ٦٦ - ألف وجه | ٣٥ - قراصنة الجو | ٤ - صائد الجواسيس |
| ٦٧ - الجحيم المزدوج | ٣٦ - ذنب الأحراش | ٥ - الجليد الدامى |
| ٦٨ - قلعة الصقور | ٣٧ - مخلب الشيطان | ٦ - قتال الزناب |
| ٦٩ - أجنحة الانتقام | ٣٨ - لعبة المحترفين | ٧ - بريق الماس |
| ٧٠ - أباطرة الشر | ٣٩ - أعماق الخطر | ٨ - غريم الشيطان |
| ٧١ - ضد القانون | ٤٠ - مهنتى القتل | ٩ - أنياب الثعبان |
| ٧٢ - شريعة الغاب | ٤١ - الانتحاريون | ١٠ - المال الملعون |
| ٧٣ - المعتقل الرهيب | ٤٢ - الهدف القاتل | ١١ - المؤامرة الخفية |
| ٧٤ - الدائرة الجهنمية | ٤٣ - المخاطر | ١٢ - خلفاء الشر |
| ٧٥ - أسوار الجحيم | ٤٤ - العين الثالثة | ١٣ - أرض الأحوال |
| ٧٦ - النهر الأسود | ٤٥ - القضبان الجلدية | ١٤ - عملية مونت كارلو |
| ٧٧ - عمالقة ماركسليا | ٤٦ - لهيب الثلج | ١٥ - إمبراطورية السم |
| ٧٨ - صحراء الدماء | ٤٧ - الرصاص الذهبية | ١٦ - الخدعة الأخيرة |
| ٧٩ - صلفاء الموت | ٤٨ - شيطان المافيا | ١٧ - انتقام العقرب |
| ٨٠ - وكر الإرهاب | ٤٩ - الضربة القاضية | ١٨ - قاهر العمالقة |
| ٨١ - الرجل الآخر | ٥٠ - مهمة خاصة | ١٩ - أبواب الجحيم |
| ٨٢ - الاخطبوط | ٥١ - سم الكوبرا | ٢٠ - ثعلب الثلوج |
| ٨٣ - معركة القمة | ٥٢ - جبال الموت | ٢١ - مضيق النيران |
| ٨٤ - جزيرة الجحيم | ٥٣ - ذناب ودماء | ٢٢ - أصابع الدمار |
| ٨٥ - لمسة الشر | ٥٤ - رحلة الهلاك | ٢٣ - فارس اللؤلؤ |
| ٨٦ - الثعلب | ٥٥ - أفقى برثلوثة | ٢٤ - الضباب القاتل |
| ٨٧ - خط المواجهة | ٥٦ - عملية الأدغال | ٢٥ - الخنجر القضى |
| ٨٨ - سفير الخطر | ٥٧ - الفهد الأبيض | ٢٦ - آخر الجبابرة |
| ٨٩ - قضية السفاح | ٥٨ - إعدام بطل | ٢٧ - الجوهر السوداء |
| ٩٠ - الهدف | ٥٩ - انتقام شبح | ٢٨ - قلب العاصفة |
| ٩١ - الوجه الخفى | ٦٠ - دونا كارولينا | ٢٩ - الصراع الشيطاني |
| | ٦١ - ملائكة الجحيم | ٣٠ - الرمال المحرقة |
| | ٦٢ - ملك العصابات | ٣١ - الخطوة الأولى |

ملف المستقبل

سنة ١٤١١ هـ

صدر من هذه السلسلة :

- | | | |
|------------------------|--------------------------|--------------------------|
| ١ - أشعة الموت . | ٣١ - رنين الصُفت . | ٦١ - الكابوس . |
| ٢ - اختفاء صاروخ . | ٣٢ - الأفق الأخضر . | ٦٢ - سادة الأعماق ج١ . |
| ٣ - مدينة الأعماق . | ٣٣ - حارس الأرواح . | ٦٣ - المحيط الملتهب ج٢ . |
| ٤ - غزاة الفضاء . | ٣٤ - وحش المحيط . | ٦٤ - السيف البلورى ج١ . |
| ٥ - القنبلة الفامضة . | ٣٥ - مرآة الغد . | ٦٥ - أبواب الموت ج٢ . |
| ٦ - زائر من المستقبل . | ٣٦ - الموت الأزرق ج١ . | ٦٦ - الشمس الزرقاء . |
| ٧ - جنون طائفة . | ٣٧ - السماء المظلمة ج٢ . | ٦٧ - شيطان الفضاء . |
| ٨ - الارتجاج القاتل . | ٣٨ - من وراء النجوم ج٣ . | ٦٨ - عقول الشر . |
| ٩ - صراع الحواس . | ٣٩ - الثلوج الساخنة . | ٦٩ - العالم الآخر . |
| ١٠ - الفارس المجهول . | ٤٠ - علامات الخوف . | ٧٠ - الستار الأسود . |
| ١١ - منطقة الرعب . | ٤١ - مملكة النار . | ٧١ - أمير الظلام . |
| ١٢ - طريق الأنشباح . | ٤٢ - الأرض الثانية . | ٧٢ - ابن الشيطان ج١ . |
| ١٣ - الزمن المفقود . | ٤٣ - ثقب فى التاريخ . | ٧٣ - مبعوث الجحيم ج٢ . |
| ١٤ - نداء النجوم . | ٤٤ - الخارقون . | ٧٤ - الصراع الجهنمى ج٣ . |
| ١٥ - مثنت الغموض . | ٤٥ - السحاب الأحمر . | ٧٥ - الجولة الأخيرة ج٤ . |
| ١٦ - الوباء الجهنمى . | ٤٦ - الكوكب الملعون . | ٧٦ - الاحتلال ج١ . |
| ١٧ - نبض الخلود . | ٤٧ - المقاتل الأخير . | ٧٧ - المقاومة ج٢ . |
| ١٨ - ظلال الفزع . | ٤٨ - سجن القمر . | ٧٨ - الصراع ج٣ . |
| ١٩ - عيون الهلاك . | ٤٩ - غزو الأرض . | ٧٩ - التحذير ج٤ . |
| ٢٠ - العقول المعدنية . | ٥٠ - الأسطورة . | ٨٠ - النصر ج٥ . |
| ٢١ - أطراف الماضى . | ٥١ - الخلية القاتلة ج١ . | ٨١ - رمز القوة . |
| ٢٢ - ليلة الرعب . | ٥٢ - العدو الخفى ج٢ . | ٨٢ - حصن الأشرار . |
| ٢٣ - بصمات السخرة . | ٥٣ - أمطار الموت . | ٨٣ - أرض العدم . |
| ٢٤ - الضوء الأسود . | ٥٤ - عزب العصور ج١ . | ٨٤ - كنز الفضاء . |
| ٢٥ - صحوة الشر . | ٥٥ - أمرى الزمن ج٢ . | ٨٥ - الأمل الفيروزى . |
| ٢٦ - لعنة الفضاء . | ٥٦ - شيطان الاجيال ج٣ . | ٨٦ - الامبراطور . |
| ٢٧ - الفخ الزجاجى . | ٥٧ - منطقة الضياع . | ٨٧ - نصف آلى . |
| ٢٨ - النهر المقدس . | ٥٨ - معركة الكوكب ج١ . | ٨٨ - الانفجار الحى . |
| ٢٩ - الإيقاع المقتصر . | ٥٩ - جحيم أرغوران ج٢ . | ٨٩ - البركان . |
| ٣٠ - النار الباردة . | ٦٠ - أرض العمالقة . | |

رقم الإيداع: ٩٣/١٦٠٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠٠٨ شارع ١٧ بالمنطقة الصناعية بالعجاسية

القاهرة - ☎ ٨٢٦٢٨٠ - ٢٨٣٥٥٥٤